سيميائية النص المقدس

جزء من مسودة كتاب القول الثقيل

المترجم والباحث
عادل الجمل

القراءة السيميائية للنص المقدس

تتمتع النصوص المقدسة، وخاصة القرآن الكريم موضوع بحثنا هنا بمكانة وقدسية خاصة عند أصحابه، ورجال علومه، وينظرون بعين الشك والريبة لكل من يخرج عن القواعد الأصولية الموروثة في قراءته؛ لذلك فهم يقابلون أي علم جديد بالرفض، ويتهمون مستخدميه بالتغريب؛ ومن هذه العلوم، علم السيمياء.
رغم أن علم السيمياء ليس غريبا على ثقافتنا الإسلامية والعربية، بل كانت إشارات بداياته في الثقافة العربية قوية جدًا، بل وفي القرآن الكريم نفسه. ولكن كالعادة أخذ الغرب تلك الارهاصات، وانطلقوا منها وجعلوه علما له أصوله، وقواعده، وطرائقه، زاعمين كالعادة أن أصوله كانت غربية في الفلسفة اليونانية القديمة، ولكن الحقيقة أن بضاعتنا ردت إلينا وهو ما سنراه.

والسيميائية كعلم جديد هي أو غيرها في مجالات اللغة أو اللسانيات أو علوم التأويل لا يجب رفضها، بل الانفتاح عليها واستخدام المفيد منها. وللان ما زال الكثيرون يترددون في إطلاق اسم علم على السيميائية ويعتبرها مجرد نظريات، وأنها في طور التشكل لتصبح علمًا له أصوله وقواعده.

ومن خلال دراستي وقراءاتي في هذا العلم الجديد سأعرض لمن يريد أن يتعرف عليه موجزا لغويا وقرآنيا واصطلاحيا، ومراحل تطوره ونشأته في الشرق والغرب، ونتعرف سريعًا على أفكار المؤسيين مثل: دو سوسير، وبيرس، ثم نعرض لأهم مدارسه، ومبادئه، ومنهجه، ومصطلحاته، وتطبيقاته. ثم نتعرض سريعًا لاستخدام هذا العلم في قراءة معاصرة للنص المقدس كاسم أو عنوان، والآية ومحور السورة، والمقطع، والقصص، والأمثال. وأتمنى أن يكون بحثا موجزا وفي نفس الوقت يعطي فكرة صحيحة عن هذا الموضوع من خلال هذا

التقسيم:

السيمياء لغة وقرآنا واصطلاحا
تاريخ ونشأة السيميائية في الشرق والغرب
اشكالية المصطلح
سميولوجية دو سوسير الثنائية وسميوطقية بيرس الثلاثية
خطوات المنهج السيميائي
الدراسات اللسانية والسيميائية للنص القرآني المقدس
النص المقدس هو رحم النصوص الأدبية
تطبيق السميائية على النص القرآني
سيميائية العنوان والغلاف والإهداء
سيميائية أسماء السور
سيميائية الآية المفتاح ومحور السورة
سيميائية المقاطع في السورة
سيميائية القصص في النص القرآني
سيميائية الأمثال في القرآن

السيمياء لغويا وقرآنيا وإصطلاحيا

السيمياء لغة

السيمياء والسيماء والسومة والسيمة، كلها من أصل واحد وهو سوم وقد أورد أصحاب معاجم اللغة العربية في مادتها سُومة بضم السين، وسيمة بكسر السين، وهي العلامة التي يُعرف بها، وجمعها سيم. مثل قيم جمع قيمة وصور جمع صورة.
وسوم الشيء أي تعليمه بعلامه، مثل سوم فلان فرسه أي عرفه بشيء، فالوسم من وسم (الوَسْمُ: أَثرُ الكَيّ، والجمع وُسومٌ، والسِّمةُ والوِسامُ: ما وُسِم به البعيرُ من ضُروبِ الصُّوَر. والمِيسَمُ: المِكْواة أَو الشيءُ الذي

يُوسم به الدوابّ، والجمع مواسمُ ومياسمُ كشهدوا الموسمَ. وموسمُ الحجّ سُمِّيَ مَوسماً لأَنه مَعلَم يُجْتمع إليه. وفي الحديث: أَنه لَبث عشر سنينَ يتَّبِع الحاج بالمواسم؛ هي جمع مَوسم وهو الوقتُ الذي يجتمع فيه الحاجُّ كلَّ سَنةٍ، كأَنه وُسم بذلك الوسم، وهو مَفعلٌ منه اسمٌ.

وفي حديث علي رضي الله عنه قال: مَن ترك الجهاد أَلْبسهُ الله الذلَةَ، وسِيمَ الخَسف أَي كُلّف وأُلْزِم
وجاء عند عبد القاهر الجرجاني "التسويم" وهو ترصيع لمقدمة القصائد خصوصا البيت الأول، والتحجيل أيضا ترصيع لآخر بيت في القصيدة، وهو من الجذر وسم وليس من سوم.
وتمت الزيادة الاشتقاقية على هذا الأصل السيمياء بزيادة ياء النسب، والألف والتاء، وكأنك أمام جمع مؤنث سالم منسوب.

السيمياء قرآنيا

وردت كلمة سيما في القرآن الكريم في ستة مواضع، وكلها عن رجال تتعرف عليهم وتعرفهم من أشكالهم وعلامات معينة فيهم تدل على دال معين وهى:

.. يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم **بِسِيمَاهُمْ** لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ - 273 البقرة
وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا **بِسِيمَاهُمْ** ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ - 46 الاعراف
وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم **بِسِيمَاهُمْ** قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ - 48 الاعراف
وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم **بِسِيمَاهُمْ** ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ - 30 محمد

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ **سِيمَاهُمْ** فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ... – 29 الفتح
يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ **بِسِيمَاهُمْ** فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ - 41 الرحمن

ووردت السيمياء في القرآن الكريم على صيغة المفعول (المسومة) في أربعة مواضع، وجاءت بمعاني عدة مثل: خيل ذات صفات معينة تدل على أصالتها ونقاء سلالتها، وأما الملائكة فعليهم سمات الاستعداد للقتال من ملابس وأسلحة ودروع، وأما المسومة عند ربك أي مختومة وعليها أسماء أصحابها، والآيات بالترتيب هى:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ **الْمُسَوَّمَةِ** وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ - 14 آل عمران
بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ **مُسَوِّمِينَ** - 125 آل عمران
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ - 83 هود
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ - 34 الذاريات

ومن الاشتقاقات المتفرقة أيضا بالمصحف:

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ - 16 القلم
هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ **تُسِيمُونَ** - 10 النحل

السيمياء اصطلاحيا

إن السيميائية هى تساؤلات حول المعنى والمغزى، وهى دراسة للسلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية لأن السلوك لا يمكن أن يكون دالا إلا إذا كان وراءه قصد ما. فالتساؤل عن المعنى تساؤل عن معنى النشاط الإنساني، وعن معنى التأريخ.
السيمياء من السيماء وهي العلامة أو الإشارة وبالتالي فالسيميائية تعني العلاماتية وهى اسم للعلم الجديد، وقد عرفت في الدراسات اللسانية والنقدية بمفهومها التحليلي الحالي بعد ترجمة مصطلح السيميولوجيا الفرنسي ومصطلح السيميوطيقا الأمريكي.

فالسيميائية هى منهج نقدي يتناول العمل الأدبي أو الفني بجميع جوانبه الداخلية والخارجية ويقوم على دراسة العمل، وما يحمله من علامات وإشارات لها دلالات بعيدة مثل دلالات الرسم الحسي، والرسم الاستنباطي، والرسم التقريري، والرسم التصويري، وكذلك دلالات الاستخدام اللغوي على المستوي الصوتي والنحوي والجمالي، وكل التمفصلات الممكنة للمعنى، فهي تتجاوز اللغة إلى كافة الأشكال الرمزية، والعلاماتية لأن الإنسان قد حول كل شيء حوله إلى رموز وإشارات، في محاولة منه للتحرر من الواقع المباشر، وسموا عن باقي الكائنات التي تتقوقع داخل صيغة جامدة.

تاريخ ونشأة وتطور السيميائية

نشاة السيميائية عربيًا في الشرق

إن الألسنية العربية هى من أوائل العلوم التي نضجت في الحضارة العربية واستفادت منها الألسنية الغربية المعاصرة. وليس كما يظن البعض، أن النقد العربي الحديث والمعاصر قد عرف المنهج السيميائي؛ نتيجة الاحتكاك مع الغرب بل كانت البداية من القرآن الكريم، فهو النبع الأساسي لحضارة وعلوم العرب قديما؛ لذلك سنقسم الأمر لعدة مراحل نظريا لصعوبة فصلها، وتحديدها زمنيا:

المرحلة الأولي: وهى القرآن والسنة وأقوال الصحابة وقد عرضنا بعضا منها في الوريقات السابقة.

المرحلة الثانية: الشعر
وظهر الكثير منها في أشعار الكثيرين مثل عكاشة المهدي، وفديكا الجرمي، وأبو نواس، وعلي بن الخليل، والبحتري، والغزاري.
فمثلا قال الشاعر:
غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق على البصر
هذا للمد أما القصر فمنه قول الشاعر
ولهم سيما إذا تبصرهم بينت ريبة من كان قد سأل
ومن ذلك مواقف العشق والغرام لها علاماتها التي لهج بها الشعراء والأدباء، وتناولها الناس، ومن علاماتها التي سجلها ابن عبد ربه:
وللحب آيات إذا هي صرحت تبدت علامات لها غرر صفر

المرحلة الثالثة: ارتباط السيميائية بالسحر والكهانة، والكيمياء وما بعدها، كما اقترن مصطلح السيمياء في حركة التأليف المبكرة عند العرب وذلك بعدد من العلماء، منهم جابر بن حيان، حيث

تحول عنده علم الكيمياء إلى ما عُرف بعلم (السيمياء). وقد كان مفهوم هذا العلم في ذلك الوقت قريباً من السحر. ونذكر إضافة إلى جابر بن حيان، أسماء علماء آخرين منهم ابن سينا، والسهروردي، وابن خلدون، والحلاّج، وكمال الدين الموصلي، وموسى بن يونس، والهروي وكانوا من أهل الفلسفة والمنطق. فقد عرف العرب هذا العلم ومارسوه في حياتهم، وذلك قبل أن تقعد له القواعد، وتوضع له الأصول.

وقد تحدث كل من الغزالي وابن سينا عن اللفظ بوصفه رمزا، وعن المعنى بوصفه مدلولا. ولابن سينا مخطوطة عنوانها: كتاب الدر النظيم في أحوال علوم التعليم، ورد فيها فصل تحت عنوان علم السيمياء يقول فيه: علم السيمياء يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي هى جواهر العالم الأرضي؛ ليحدث لها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضا أنواع، فمنه ما هو مرتب على الحيل الروحانية، والآلات المصنوعة على ضرورة عدم الخلاء، ومنها ما هو مرتب على خفة اليد وسرعة الحركة، والأول من هذه الأنواع هو السيمياء بالحقيقة، والثاني من فروع الهندسة.

أما ابن خلدون فقد خصص فصلا في مقدمته لعلم أسرار الحروف ويقول عنه: "المسمى بالسيمياء نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من غلاة المتصوفة، فاستعمل استعمال في الخاص، وظهر عند غلاة المتصوفة عند جنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزيل الوجود عن الواحد ... فحدث بذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع السيمياء وتعددت فيه الموضوعات والمسائل، ومنه تآليف البوني وابن العربي. ومن فروع السيمياء عندهم استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباطات بين الكلمات معتقدين أنها أصل في المعرفة".

المرحلة الرابعة: في الأدب والنقد
وفي مجال الدراسات العلمية الجادة قدم الجاحظ دليلا باهرا على عبقريته المشهود بها، وقام بعمل بحث سيميائي مميز نلخص ملامحه فيما يلي:
- تعريفه البيان بأنه: اسم جامع لكل شيء يكشف لك قناع المعنى. أي كل ما أوصل السامع إلى المعنى المراد. يستوي في ذلك كل أجناس الأدلة فبأي شيء بلغت الأفهام، ووضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع.
- تعداده العلامات والإشارات التي تدل على المعنى، وهي خمسة أشياء: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والحال.
- تفصيله الإشارات الناقلة للمعاني، وشرحه لكيفيتها وتطورها، وتحديده للمواقف الاجتماعية التي تستدعي التعبير بالإشارة كالرغبة في ستر بعض الأمور، وإخفائها عن الحاضرين.

وجاء من بعد الجاحظ، الجرجاني، وتبعهم القلقشندي الذي قال: العنوان كالعلامة وهو دال.

فما جاء في النصوص العربية القديمة دليل ساطع على ريادة علماء العربية - قبل دي سوسير بقرون طويلة - وتفصيلهم له بدقة تحدد أنواعه المختلفة، وتبين ارتباطاته بعلوم أخرى مثل: الهندسة والطب والفلك والتصوف والسحر والطلاسم، وهكذا نجد أيضا أن السيمياء موجودة في علوم المناظرة والأصول والتفسير والنقد، فضلا عن ارتباطها الوثيق بعلم الدلالة، الذي كان يتناول اللفظة وأثرها النفسي، كذلك وهو ما يسمى بالصورة الذهنية والأمر الخارجي عند المحدثين.

فالواقع يقول إن: المساهمة التي قدمها المناطقة والأصوليون والبلاغيون العرب مساهمة مهمة في علم الدلالة، وقد كانت محصورة ضمن إطار الدلالة اللفظية وتوصل العرب إلى تعميم مجال أبحاث الدلالة على كل أصناف العلامات، ومن الواضح أنهم اعتمدوا اللفظية نموذجا أساسيا. كذلك فأقسام الدلالة عند العرب قريبة من تقسيم

"بيرس" وتبقى أبحاثهم التي تتناول تعيين نوعية دلالة الألفاظ المركبة أو بوجه عام العلامات المركبة، وتحليل الدلالة المؤلفة من تسلسل عدة توابع دلالية، مدخلا جديدا ذا منفعة قصوى للسيمياء المعاصرة.

نشأة السيمياء في الغرب

المرحلة الأولى: ارتباط علم العلامات بالإغريق، وبدايته كانت من الطب، من أول أفلاطون، ثم جاء أرسطو حيث يرى أن العلامة اللسانية تفتقر للقدرة على الاستدلال، بينما تمتلك العلامة (السيمون) القدرة التي تؤهلها للانخراط في العمليات الاستدلالية.
المرحلة الثانية: جاء الرواقيون الفلاسفة، وهم أول من قال بإن للعلامة دالا ومدلولا، وتجاوزوا بها العلامات اللسانية إلى شتى مناحي الحياة الاجتماعية.
المرحلة الثالثة: آراء المسيحيين، وعلى رأسهم القديس أوجستين، الذي أكد على إطار الاتصال والتواصل والتوصيل عند معالجته لموضوع العلامة.
المرحلة الرابعة: مرحلة العصور الوسطى، وفيها روجر بيكون، وجيوم دو أوكام، وجون دونس سكوت من خلال التأمل الفلسفي.
المرحلة الخامسة: وتبدأ من بداية القرن السابع عشر، حيث كان روادها المفكرين الألمان والإنجليز ومنهم جون لوك الذي استعمل مصطلح السيميوطيقيا، وفي القرن الثامن عشر ظهر فيكو وديدرو، وكوندياك، ولايبنتيز، وقد تأثروا بفلسفة ديكارت، ومالمبراش، ومن بعدهم تبلورت سيميائيات مثالية مع بركلي، وسيميائيات تجريبية مع هيوم.

المرحلة السادسة: وفي بداية القرن العشرين، ظهرت جوليا كريستيفا التي بحثت في لغة التواصل المباشرة، الموضوعة من قبل اللسانيات والتي تبدو أكثر لأنساق الدلالالية في الانتاج.
ثم جاء أبو علم العلامة في الإطار الاجتماعي بشكل لساني وهو مؤسس علم السيميولوجيا الفرنسي من أصل سويسري: فردناند دو سوسير 1857 – 1913 ، ثم جاء من بعده بروندال، وهاريس، حيث كان الاهتمام بالمعطى الاجتماعي ثم جاء أبو علم السيميوطيقيا الأمريكي من أصل بريطاني: شارل سندرس بيرس 1839 – 1914، ثم تبعهم تلاميذهم، وأشهرهم: رولان بارت، وجريماس، وأخيرا الإيطالي أومبيرتو إيكو .. وغيرهم.

اشكالية المصطلح

إن كلمة (سيميولوجيا) أو (سيميوطيقا) مشتقة من الأصل اليوناني (السيمون)، كما يشير إلى ذلك دو سيوسير في محاضراته. ومن الناحية التركيبية فهي مكونة من مفردتين أولاهما (السيمون) التي تعني (علامة) وثانيتهما (لوجيا) التي تفيد معنى (العلم) أو المعرفة؛ أي علم العلامة.
ولا ريب في أن قضية المصطلح من القضايا الشائكة التي تُطرح في ميدان السيميائيات، إذ مازال هذا المصطلح يعاني الفوضى والاضطراب، حيث إن أغلب الباحثين العرب يستخدمون مصطلحات "السيميوطيقا" و"السيميولوجيا" و"السيميائيات" على أنها أسماء دالة على معنى واحد.

ومع تنامي الوعي بأهمية المصطلح وتزايد الإحساس بضرورة ضبطه وتوحيده وجدنا عددا من الباحثين ينتبهون إلى الفروق الموجودة بين

المصطلحات التي كان يُظَنُّ أنها من قَبيل الترادف. وبناء على هذا الأمر إلتفت بعض الدارسين إلى التمييز بين المصطلحين وقد قدم معجم الموسوعي "هاشتي" تعاريف وتفاريق واضحة بين هذه المصطلحات، بحيث:
عرف (السيميولوجيا) بأنها: علم يدرس العلامات وأنساقها داخل المجتمع.
وحدد (السيميوطيقا) بأنها: النظرية العامة للعلامات، والأنظمة الدلالية اللسانية، وغير اللسانية.
وحدد السيميائيات بأنها: دراسة اللغة من زاوية الدلالة.
ويعرّف الأوكسفورد هذا المصطلح بأنه: دراسة معاني الكلمات.
ومعنى هذا كله أن السيميولوجيا علم، والسيميوطيقا نظرية، والسيميائيات دراسة أو منهج نقدي.

إن الأوربيين يستعملون مصطلح (السيميولوجيا) بتأثيرٍ من دو سوسير الذي وضع هذا المصطلح واستعمله في محاضراته. حيث يقول: يمكننا أن نتصور علما يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، علما سيشكل فرعا من علم النفس الاجتماعي؛ ومن ثم فرعا من علم النفس العام.
أما الأمريكيون فقد استعملوا مصطلح (السيميوطيقا) بتأثير من بيرس الذي وظفه في مختلف كتاباته حول العلامة. إلا أن المصطلحين معا عرفا انتشارا متبادَلاً. ويكفي أن ندرك أن المنتمين إلى الثقافة الفرنسية لم يُقْصوا تماما من دائرة اهتمامهم وكتاباتهم مصطلح (السيميوطيقا) نظرا إلى انتشاره الواسع في الثقافات الأخرى، وخاصة الأنجلوساكسونية والروسية. كما أن مصطلح (السيميولوجيا) ظل راسخا في فرنسا، وفي غيرها من البلدان اللاتينية.

وفرق آخرون بين المصطلحين على أساس أن (السيميولوجيا) تدرس العلامات غير اللسانية كقانون السير أو المرور.
في حين تدرس (السيميوطيقا) الأنظمة اللسانية كالنص الأدبي.
ولكن التفرقة بين (السيميولوجيا) و(السيميوطيقا) لم تعد قائمة

خصوصا بعد أن قررت (الجمعية العالمية للسيميائيات) –التي تأسست عام 1974 م - تبني مصطلح السيميوطيقيا.
أن الدارسين العرب مختلفون في شأن ترجمة هذا المصطلح إلى العربية، فمنهم من يستعمل مصطلح (السيميائيات) وهو المصطلح الرائج بين صفوف المغاربيين. ومنهم من يترجم ذلك المصطلح (بالسيميولوجيا). ومنهم من يترجمه ترجمة حرفية أي بلفظ (سيميوطيقا). ويستعمل بعضهم مصطلح (الرموزية). ويقترح آخرون - وهم قلة - مصطلح (الأعراضية) مقابلا للمصطلح الأجنبي. أو تبني مصطلح (علم الدلالة). ويترجمه دارس آخرُ بـ (علم الإشارات). وهناك من يستعمل مصطلح (سيمياء) أو (علم السيمياء) حيث يُؤْثِر بعض الباحثين لفظ (السيمياء) باعتباره مصطلحا عربيا أصيلا وشائعا في كتب التراث.

سيميولوجية دو سوسير الثنائية، وسيميوطيقية بيرس الثلاثية

تعد السيميائيات تخصصا معرفيا حديثا بالمقارنة مع غيره من التخصصات، ولم تظهر ملامحها المنهجية إلا مع بداية القرن العشرين. وقد كانت نشأتها مزدوجة نشأة أوربية مع دو سوسير بنظريته الثنائية، ونشأة أمريكية مع بيرس بنظريته الثلاثية.
يعتبر دو سوسير، وبيرس المؤسسان لعلم السيميائية ومن جاء بعدهما، إما تلميذ لهما، أو هو ممن بنى على القواعد والأسس التي قاما بتقعيدها، لذلك سنعرض موجزا مختصرا عنهما، وبداخله أهم أفكارهما والمصطلحات والمفاهيم التي أرساها كل منهما.

سيميولوجيا دو سوسير

يعد دو سوسير أبا اللسانيات الحديثة؛ ذلك بأنه أنفق جزءً غير يسير من حياته في دراسة اللغة، وخلف دروسًا قيمة ورائدة في هذا الشأن. وقد طبع هذا التوجه اللساني نظرية دو سوسير العامة حول العلامة التي أطلق عليها اسم (Sémiologie).
لم يتناول دو سوسير السيميولوجيا إلا عرضا في فترة لم يشق فيها البحث اللساني طريقه بعد؛ وعليه لم يكن بوسع هذا العلم الجديد أن يتبلور بعد، باعتباره مجالا معرفيا مخصوصا؛ إذ اقتصر على تقديم تصور عام لهذا العلم وموضوعه ووظيفته وعلاقته باللسانيات.

إن السيميولوجيا السوسيرية تعنى بعموم العلامات في نطاق المجتمع. وهى بذلك ظاهرة سوسيولوجية، كما أنها فرع من علم النفس العام. ويبدو التأثير السيكولوجي في نظرية دو سوسير واضحا في تعريفه للعلامة، باعتبارها كيانا نفسيا قوامه عنصران يرتبطان – جدليا - وفق علاقة اعتباطية. وقد ركز دو سوسير – في المقام الأول - على اللسانيات في بناء نظريته حول العلامة، بحيث استمد العديد من مبادئه ومفاهيمه السيميولوجية من المجال اللساني.

إن العلامة اللغوية هي محور مشروع دو سوسير السيميولوجي. وقد عمل تلاميذه مثل (بويسنس) على المضي قدما في هذا المشروع العام، تحدوهم الرغبة في إنجاز نظرية سيميائية، تنبثق أساسا من الطروحات اللسانية خاصة وأن الدراسات اللغوية في تلك الفترة كانت في أوج عطائها وذروة تطورها. وقد ذهب أولئك التلاميذ بنظرية دو سوسير مذاهب شتى، من ذلك ما ذهب إليه (بارت) في حديثه عن علاقة السيميولوجيا باللسانيات.

وتقوم العلامة – حسب دو سوسير- على ركنين متضايفين: الدال والمدلول بمعنى: التصور/المدلول، والصورة السمعية/الدال. وتعتبر

العلاقة بينهما علاقة اعتباط ودليله في ذلك تعدد الأسامي المسمية للمسمى الواحد.
وبالإضافة إلى العلامة الاعتباطية تحدث سوسير عن العلامة الرمزية/العرفية المتسمة بخاصيات معينة حيث يقول: ومن خاصية الرمز ألا يكون أبدا اعتباطيا في سائر وجوهه، فهو ليس خاليا ولا فارغا من كل محتوى مادي، إذ لا تزال فيه بقيةٌ من علاقة طبيعية، بين داله ومدلوله. فالرمز الذي يشير إلى العدالة كالميزان، لا يمكن أن نستبدله بأي رمز آخر كالعربة مثلا.

وعلى الرغم من الطابع الثنائي للدليل فإننا عندما نطلق العلامة ينصرف ذهننا مباشرة إلى جانب الدال فحسب. يقول دو سوسير: فنحن نطلق لفظ العلامة على تركيب التصور والصورة السمعية؛ إلا أنه بوجه عام جرت عادة استخدام هذا المصطلح من حيث إنه يقصد به الصورة السمعية (أو الدال) وحدها، كما في لفظ شجرة وقد ننسى أنه إذا كان هذا اللفظ يسمى علامة، فذلك راجع إلى كونه يحمل تصورا «للشجرة» حتى إن المعنى المحسوس أصبح يقتضي الفكرة الكلية، فالشجرة قد تكون شجرة الحياة وهي شجرة آدم في الجنة، أو شجرة العائلة مثلا. ومهما كان الأمر فقد أسهم دو سوسير – بشكل كبير - في إرساء أسس السيميائيات الحديثة، وكان لأفكاره واجتهاداته أثر كبير فيمن تلاه من السيميولوجيين واللسانيين.

سيميوطيقا بيرس

كان بيرس فلكيا، وعالِم مساحة الأرض، وكان كذلك منطقيا وفيلسوفا ذرائعي التوجه؛ وقد تحكمت طبيعة ثقافته في صياغة نظريته حول

العلامة، وكما ذكرنا من قبل فإن نظريته أقرب للأفكار العربية والإسلامية التي تناولت النص القرآني.
ولفهم سيميوطيقا بيرس الفهم السليم، لا مناص، من ربطها بفلسفته التي تتسم بكونها استمرارية وواقعية وذرائعية. فهي استمرارية لأنها تتعارض مع النزعة الواحدية والنزعة الثنـائية؛ إذ تأخذ على الواحدية جمودها ويقينيتها، وتذهب - خلافا للثنائية - إلى أن الفكر ليس ملَكة عارفة خارج الشيء المراد معرفته، وإنما هو سيرورة في الأشياء، واستمرارية خلاقة معها. وهى فلسفة واقعية في معارضتها للنزعة الاسمية، التي تذهب إلى أن الوقائع التي ينبغي الاهتمام بها هى تلك الكامنة وراء الإدراك، وأكد بيرس - في المقابل - أهمية الواقع الذي من شأنه أن يزودنا بمعرفة حقيقية. وهذا هو الطابع الاجتماعي والجدلي لفلسفة بيرس، والتي هى فلسفة ذرائعية (أو تداولية)؛ لأن منهجها يُفضي إلى وقائع عملية.

وتقوم سيميوطيقا بيرس على: المنطق، والظاهراتية، والرياضيات:
والمنطق - بمعناه الدقيق - هو علم الشروط الضرورية المُوصلة إلى الصدق، أما بمعناه العام فهو علم القوانين الضرورية للفكر، وبأسلوب آخر هو علم الفكر الذي تجسده العلامات. إنه (السيميوطيقا العامة) كما يقول بيرس. والمنطق البيرسي هو منطق العلاقات الذي يعد الأساس والضامن للتصور الثلاثي للمقولات والعلامات: من دال، ومدلول، وموضوع.
أما الظاهراتية فهي الدراسة التي تصف خاصيات الظواهر في مقولاتها الثلاث. وقد استندت السيميوطيقا البيرسية إلى ظاهراتية متميزة. فظاهرية بيرس كأصل ظاهرية (كانت)، ولكي يعطيها بيرس تمييزا عن ظاهرية (كانت) و(هيجل) فقد أعطاها اسم
(الفانيروسكوب)، وفهمها وعرفها في حدود واقعيته، بدون استتباع سيكولوجي باعتبارها (وصفا لما هو أمام الفكر أو في الوعي مثلما هو ظاهر في مختلف أنواع الوعي) ثلاثة أنواع، لا أقل ولا أكثر.

كما تتأسس سيميوطيقا بيرس على فرضية مسماة (بالبروتوكول

الرياضي) والتي تكون العلامة وفقها ثلاثية؛ ويرى بيرس أن العلامات – كيفما كانت طبيعتها - يجب أن تُعالج في إطارها المنطقي. ويذهب إلى أن أي تحليل لابد أن يتم عن طريق العلامات لأنها - من جهة - تمكننا من التفكير، والتواصل مع الآخرين، ومن جهة أخرى تمكننا من إعطاء معنى لما يقترحه علينا الكون.
والعلامات – في نظر بيرس - متساوية من حيث الأهمية لذا عُني باللسانية منها وبغير اللسانية.

تركز سيميوطيقا بيرس على ثلاثة أبعاد رئيسة هى: البعد النحوي أي البعد التركيبي أو النظمي، والبعد الدلالي أو الوجودي، والبعد التداولي أو المنطقي؛ وكل واحد منها يتضمن ثلاث علامات، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ- البعد الأول (التركيبي): وهو بعد الممثل منظورا إليه في علاقته مع ذاته. والممثل – باعتباره علامة رئيسة - يتفرع إلى ثلاث علامات فرعية تبعا لعلاقته بالمقولات الفانيروسكوبية الثلاث (الأولية والثانوية والثالثية). وذلك على النحو التالي:
* **العلامة الوصفية**: وهى الصفة التي تشكل علامة. ولا يمكن أن تشتغل إلا وهى متجسدة – ماديا - في العلامة الفردية، ومثال العلامة الوصفية اللون الدال على شيء ما (أبيض صفاء، أسود حزن، أحمر عاطفة).
* **العلامة الفردية**: ويعرفها بيرس بأنها (شيء أو حدث موجود وواقعي في شكل علامة) كما أنها (موضوع أو حدث فردي) ويمكن أن نمثل لهذه العلامة بالنصب التذكاري للشهداء.
* **العلامة العُرفية**: هى قانون أو قاعدة أو مبدأ عام في شكل علامة، وتعد أنساق الكتابة الخاضعة لقواعد الصرف والنحو علامات عرفية.
ب - البعد الثاني (الدلالي): وهو بعد الموضوع، ويتعلق الأمر هنا بالعلامة منظورا إليها في علاقتها بموضوعها الذي تحيل إليه، ويتكون هذا البعد من ثلاث علامات فرعية كالآتي:
* **الأيقونة**: وهى تشبه الموضوع الذي تمثله، يقول حنون مبارك: إن

الأيقونة صورة تستنسخ نموذجا، والصورة الفوتوغرافية مثال لهذا النوع من العلامات.
* **القرينة**: وهى تنسج علاقة مباشرة أو ملاصقة مع موضوعها، ومثالها الدخان الذي هو أمارة على وجود النار.
* **الرمز**: وهو يحيل إلى موضوعه بفضل قانون، أو أفكار عامة مشتركة، وتعد كل علامة تعاقدية (أو اصطلاحية) رمزا. والرمز - باعتباره علامة فرعية ثالثة لبعد الموضوع – نوعان، أحدهما: مجرد، وهو (شكل منحل عن الرمز الذي ليس لموضوعه إلا طابع عام)، والآخر: متميز، وهو (شكل آخر منحل عن الرمز الذي يكون موضوعه فردا موجودا؛ بحيث لا يعني هذا الموضوع إلا الطبائع التي يملكها هذا الفرد).

ج - البعد الثالث (التداولي): وهو بُعد المؤول، ويخص الأمر هنا العلامة منظورا إليها في علاقتها بالمؤول، ويتفرع هذا البعد إلى مؤول أول، ومؤول ثان، ومؤول ثالث، تبعا لنوعية العلاقة التي يعقدها مع المقولات الثلاث وذلك كما يأتي:
* الخبر أو المسند إليه: ويستعمل آخرون مصطلح (سمة) مقابلا للفظ الأجنبي ويقتصر بعض الباحثين على ترجمة هذا المصطلح ترجمة حرفية كما ينطق (رِيم)، ويقصد (بالريم أو بالفدليل) في السيميوطيقا البيرسية علامة الإمكانية الكيفية، أي إنه مُدرك باعتباره يمثل هذا النوع أو ذاك من الموضوع الممكن؛ ويمكن للفدليل أن يمدنا بإخبار (أو معلومة)، إلا أنه لا يؤول بوصفه شيئا يمدنا بإخبار ما.
* العلامة الإخبارية: وهى تخبر، وتعطي معلومة تتعلق بموضوع العلامة، ويعرفها دولودال بأنها (العلامة التي تكون بالنسبة لمؤولها علامة وجود واقعي، أي أنها تقدم إعلاما يتعلق بموضوعه)، ويمكن أن نمثل لهذه العلامة بالجملة البيانية.
* البرهان: وهو علامة تشكل بالنسبة إلى مؤولها علامة قانون، ولو لم يكن للاستدلال بعد سيكولوجي لسماه بيرس به، ولأن البرهان ثالثي بسبب مبدأ (تراتبية المقولات) فإنه التعبير المختصر للعلامة التامة: أي العلامة العرفية الرمزية البرهانية.

مما سبق يتبدى لنا أن العلامة في سيميوطيقا بيرس علاقة ثلاثية بين ثلاثة عناصر أو علامات رئيسة (الممثل – الموضوع - المؤول) ولا يمكن أن تقوم العلامة إلا بوجود هذه العناصر الثلاثة مجتمعة. وهذا ما أسماه بيرس (السيميوزيس)، وكل علامة من العلامات الثلاثة المتقدمة ثلاثية الطابع. معنى هذا أن ثمة تسع علامات فرعية، ومن الناحية النظرية نحصل على 27 صنفا من العلامات الممكنة. إلا أن بيرس اختصرها في عشرة أصناف هى:
العلامة الوصفية الأيقونية الفدليلية (الشعور بالاحمرار مثلا)، والعلامة الفردية الأيقونية الفدليلية (رسم بياني معطى مثلا)، والعلامة الفردية القرينية الفدليلية (الصراخ التلقائي مثلا)، والعلامة الفردية القرينية الإخبارية (دوارة الهواء مثلا)، والعلامة العرفية الأيقونية الفدليلية (رسم بياني عام مثلا)، والعلامة العرفية القرينية الفدليلية (اسم الإشارة مثلا)، والعلامة العرفية القرينية الإخبارية (صراخ في الزقاق مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية الفدليلية (اسم عام مشترك مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية الإخبارية (التحليل القياسي مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية البرهانية (العلاقة التضمينية مثلا).
ويترتب عن ربط العلامات بعضها ببعض 66 نوعاً من العلامات السيميائية، ولكن الملاحَظ أن الاهتمام الأكبر قد انصب على الثلاثية الثانية المشكلة للبعد الدلالي أي على العلامات الفرعية التالية: الأيقونة والقرينة والرمز.

خلاصة القول إن سيميوطيقا بيرس ليست مجرد أدوات إجرائية يمكن استثمارها في قراءة ظواهر معينة؛ لكنها بالإضافة إلى ذلك تصور متكامل للكون الذي هو سلسلة لا متناهية من الأنساق السيميائية؛ إذ يستحيل فصل العلامة عن الواقع لأن هذا الأخير عبارة عن سلسلة من العلامات، التي لا تنفك تحيل على علامات جديدة تدرج ضمن سلسلة أخرى من الإحالات، وهكذا.

الخلاصة

والسميائية علم يبدأ حين يتوقف علم اللسانيات، الذي يركز على الرسائل اللفظية، اما البحث السميائي فيهتم بدراسة النصوص معتمدًا على مستويات التحليل الثلاثة:
التركيبي: أي الوحدات الصوتية، وهى البنية السطحية.
الدلالي: ما تدل عليه، وترمز إليه كمستوى عميق.
التداولي: الطريقة التي يستعملها المتلقي.
ففي حين يقتصر حقل اللسانيات على تواصل الرسائل اللفظية، فإن حقل السميائيات يشمل كافة أنواع الرسائل، وكل ما يرتبط بالتجربة الإنسانية في محاولة لفهم أسرار الدلالة، والدلالة أو العلامة هي الصورة الحسية المتكونة لدى المتلقي، أو ما تكونه حواسه عند سماع صورة صوتية مكونة من مجموعة حروف أي دال، ومدلول = صوت، وصورة.
وقد أضاف بيرس للدال والمدلول ضلعا ثالثا، وهو المرجع، ويعني بالمرجعية الثقافية كالدين مثلا.
فمثلا قد تقول الشجرة عالية؛ فالواضح أن موضوعنا طول الشجرة، ولكن المعنى الآخر الذي يمكن استنباطه عند إسقاط الأمر على الوطن مثلا؛ مما يمنح النص قراءة أولية سطحية، وأخرى تأويلية عميقة، وكلاهما عن نفس البنية ولكن حسب مرجعية ثقافية. ومثال آخر:
الكرسي الفخم المرصع بالجواهر يحيلنا إلى كرسي العرش، وليس إلى وظيفة الجلوس.

خطوات المنهج السيميائي

قلنا سابقا إن السيميولوجيا علم الدوال اللغوية، وغير اللغوية؛ أي تدرس العلامات والإشارات والرموز، والأيقونات البصرية. كما تستند السيميولوجيا منهجيا إلى عمليتي التفكيك والتركيب (تشبه هذه العملية

تفكيك أعضاء الدمية وتركيبها) على غرار البنيوية النصية المغلقة. ونعني بهذا أن السيميوطيقي يدرس النص في نظامه الداخلي البنيوي؛ من خلال تفكيك عناصره وتركيبها من جديد، عبر دراسة شكل المضمون، وإقصاء المؤلف والمرجع، والحيثيات السياقية، والخارجية، والتي لا ننفتح عليها، إلا من خلال التناص لمعرفة التداخل النصي مع نصوص مماثلة، وعمليات التفاعل بين النصوص، وطبيعة الاشتقاق النصي، وكذلك الترسبات الخارجية، والمستنسخات الإحالية داخل النص المرصود سيميائيا.

وعليه فالسيميوطيقا هى لعبة التفكيك والتركيب؛ تبحث عن سنن الاختلاف ودلالاته. فعبر التعارض والاختلاف والتناقض والتضاد بين الدوال اللغوية النصية يتكشف المعنى وتستخرج الدلالة. ومن ثم فالهدف من دراسة النصوص سيميوطيقيا وتطبيقيا هو البحث عن المعنى، والدلالة واستخلاص البنية المولدة للنصوص منطقيا ودلاليا.

ونحصر منهجية السيميوطيقا في ثلاثة مستويات وهي:

أ - التحليل المحايثي: ونقصد به البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة، وإقصاء كل ما هو إحالي خارجي، كظروف النص والمؤلف وإفرازات الواقع الجدلية، وعليه، فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر.

ب - التحليل البنيوي: يكتسي المعنى وجوده بالاختلاف، وفي الاختلاف؛ ومن ثم فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص؛ يفترض وجود نظام مبني على مجموعة من العلاقات. وهذا بدوره يؤدي بنا إلى التسليم بأن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها؛ ولذا يجب ألا نهتم إلا بالعناصر التي تبلور نسق الاختلاف، والتشاكلات المتآلفة والمختلفة. كما يستوجب التحليل البنيوي؛ الدراسة الوصفية الداخلية للنص، ومقاربة شكل المضمون، وبناه الهيكلية والمعمارية.

ج - تحليل الخطاب: إذا كانت اللسانيات البنيوية بكل مدارسها واتجاهاتها تهتم بدراسة الجملة انطلاقا من مجموعة من المستويات المنهجية، حيث تبدأ بأصغر وحدة وهى الصوت، لتنتقل إلى أكبر وحدة

لغوية وهي الجملة، والعكس صحيح أيضا فإن السيميوطيقا تتجاوز الجملة إلى تحليل الخطاب.

وتسعفنا هذه المستويات المنهجية كثيرا في تحليل النصوص ومقاربتها. **ففي مجال السرد يمكن الحديث عن بنيتين: البنية السطحية، والبنية العميقة** على غرار لسانيات نعوم شومسكي، فعلى المستوى السطحي يدرس المركب السردي الذي يحدد تعاقب وتسلسل الحالات، والتحولات السردية، بينما يحدد المركب الخطابي في النص تسلسل أشكال المعنى وتأثيراتها، وإذا انتقلنا إلى البنية العميقة فيمكن لنا الحديث عن مستويين منهجيين: المستوى السيميولوجي الذي ينصب على تصنيف قيم المعنى، حسب ما يقوم بينهما من العلاقات والتركيز على التشاكلات السيميولوجية والمستوى الدلالي، وهو نظام إجرائي يحدد عملية الانتقال من قيمة إلى أخرى، ويبرز القيم الأساسية والتشاكل الدلالي.

ويعد **المربع السيميائي** حسب كريماس، المولد المنطقي والدلالي الحقيقي لكل التمظهرات السردية السطحية، عبر عمليات ذهنية ومنطقية ودلالية؛ يتحكم فيها التضاد والتناقض والتضمن أو الاستلزام.

أما **سيميولوجيا الشعر** فتحلل النص من خلال مستويات بنيوية تراعي أدبية الجنس الأدبي كالمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي في شقيه: النحوي والبلاغي، والمستوى التناصي.
أما فيما يتعلق **بسيميولوجيا المسرح** فيدرس من خلال التركيز على العلامات المسرحية اللغوية، والعلامات غير اللغوية. وبتعبير آخر يدرس المسرح عبر تفكيك العلامات المنطوقة (الحوار والتواصل اللغوي بصراعه الدرامي وتفاعل الشخصيات والعوامل الدرامية) والعلامات البصرية مثل الديكور– الإنارة – الأزياء – الإكسسوارات .. فكل تفصيلة لها دلالتها ومغزاها.
سيميولوجيا التواصـل : يستند التواصل حسب رومان جاكبسون، إلى

ستة عناصر أساسية وهى: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والقناة، والمرجع، واللغة. وللتوضيح أكثر نقول: يرسل المرسل رسالة إلى المرسل إليه، حيث تتضمن هذه الرسالة موضوعا أو مرجعا معينا، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهمها كل من المرسل والمتلقي، ولكل رسالة قناة حافظة كالظرف بالنسبة للرسالة الورقية، والأسلاك الموصلة بالنسبة للهاتف والكهرباء، والأنابيب بالنسبة للماء وكذلك اللغة بالنسبة لمعاني النص الإبداعي.

هذا وتهدف سميولوجيا التواصل عبر علاماتها وأماراتها وإشاراتها إلى الإبلاغ والتأثير في الغير، عن وعي أو غير وعي. وبتعبير آخر تستعمل السيميولوجيا مجموعة من الوسائل اللغوية، وغير اللغوية لتنبيه الآخر والتأثير فيه عن طريق إرسال رسالة وتبليغها إياه. ومن هنا فالعلامة تتكون من ثلاثة عناصر: الدال والمدلول والوظيفة القصدية.

ويمثل هذه السيميولوجيا كل من بريتو، ومونان، وبويسنس، الذين يعتبرون الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا. وهذا القصد التواصلي حاضر في الأنساق اللغوية وغير اللغوية. كما أن الوظيفة الأولية للغة هي التأثير في المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي ولكن هذا التأثير قد يكون مقصودا وقد لا يكون مقصودا.

ويستخدم في ذلك مجموعة من الإمارات والمعينات التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث: - الإمارات العفوية: وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة تحمل إبلاغا عفويا وطبيعيا مثال: لون السماء الذي يشير بالنسبة إلى صياد السمك إلى حالة البحر يوم غد.

- والإمارات العفوية المغلوطة: التي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية؛ ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا بأنه غريب عن البلد.

- والإمارات القصدية: التي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل: علامات المرور وتسمى هذه الإمارات القصدية أيضا بالعلامات.

وكل خطاب لغوي وغير لغوي يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ والقصدية الوظيفية يمكننا إدراجه ضمن سيميولوجيا التواصل.

سيميولوجيا الدلالة: يعتبر رولان بارت، خير من يمثل هذا الاتجاه لأن البحث السيميولوجي لديه هو دراسة الأنظمة والأنسقة الدالة. فجميع الوقائع والأشكال الرمزية والأنظمة اللغوية تدل، فهناك من يدل باللغة، وهناك من يدل بدون اللغة المعهودة بيد أن لها لغة خاصة. وما دامت الأنساق والوقائع كلها دالة فلا عيب من تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللفظية أي الأنظمة السيميوطيقية غير اللسانية لبناء الطرح الدلالي. وقد انتقد بارت، في كتابه (عناصر السيميولوجيا) الأطروحة الدو سوسسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا، مبينا بأن اللسانيات ليست فرعا ولو كان مميزا من علم الدلائل بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعا من اللسانيات.

وبالتالي تجاوز رولان بارت، تصور الوظيفيين الذين ربطوا بين العلامات والمقصدية، وأكد وجود أنساق غير لفظية، حيث التواصل غير إرادي، ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة. وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة؛ حيث إن كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسيولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة ذلك إن الأشياء تحمل دلالات غير أنه ما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية، أو أنساقا دالة لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة. فهى إذا تكتسب صفة النسق السيميولوجي من اللغة. وهذا ما دفع ببارت إلى أن يرى أنه من الصعب جدا تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة، فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة.

أما عناصر سيمياء الدلالة لدى بارت فقد حددها في كتابه (عناصر السيميولوجيا) وهي مستقاة على شكل ثنائيات من اللسانيات البنيوية وهى: اللغة والكلام، والدال والمدلول، والمركب والنظام، والتقرير والإيحاء أي الدلالة الذاتية، والدلالة الإيحائية. وهكذا حاول رولان بارت، التسلح باللسانيات لمقاربة الظواهر السيميولوجية كأنظمة الموضة والأساطير والإشهار... الخ

ويعني هذا أن رولان بارت، عندما يدرس الموضة مثلا يطبق عليها المقاربة اللسانية تفكيكا وتركيبا، من خلال استقراء معاني الموضة ودلالات الأزياء وتعيين وحداتها الدالة ومقصدياتها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية. والشيء نفسه في قراءته للطبخ، والصور الفوتوغرافية، والإشهار، واللوحات البصرية.

ويمكن إدراج المدارس السيميائية النصية التطبيقية التي تقارب الإبداع الأدبي والفني ضمن سيميولوجيا الدلالة، بينما سيميوطيقا الثقافة التي تبحث عن القصدية والوظيفة داخل الظواهر الثقافية والإثنية البشرية، يمكن إدراجها ضمن سيميولوجيا التواصل. ولتبسيط سيميولوجيا الدلالة نقول: إن أزياء الموضة وحدات دالة إذ يمكن أثناء دراسة الألوان والأشكال لسانيا أن نبحث عن دلالاتها الاجتماعية والطبقية والنفسية. كما ينبغي البحث أثناء تحليلنا للنصوص الشعرية عن دلالات الرموز والأساطير، ومعاني البحور الشعرية الموظفة، ودلالات تشغيل معجم التصوف أو الطبيعة أو أي معجم آخر.

ومن حقول السيمياء أيضا: علامات الحيوانات، وعلامات الشم، وعلامات الاتصال باللمس، ومفاتيح المذاق، والاتصال البصري، وأنماط الأصوات، والتشخيص الطبي، وأوضاع الجسد، واللغات الصورية والمكتوبة، والإعلان والإشهار، والسينما، والقصة المصورة، والملصقات، وقراءة اللوحات التشكيلية.

للعلامات تصنيفات عدة من زوايا مختلفة، **ومن أشهر هذه التصنيفات ما يلي**:
إرادية، وغير إرادية، والإرادية قسمان: اتصالية، واتصالية جمالية. الأولى مثالها: الإشارات المرورية والعسكرية وأبواق السيارات والإرشادات والتوجيهات والشهادات. والثانية مثل الصور الفنية والتماثيل والمقطوعات الفنية.
أما غير الإرادية فمنها: الصوتية كالسعال، والحركية كجريان الدم في

العروق، والشكلية كحمرة الخدود وتغير لون الشعر.

ومن زوايا التصنيف هنا أيضا: تقسيم العلامات إلى:
أ – **طبيعية**، أي تنتجها الطبيعة كأصوات الرعد والحفيف والخرير وكذلك حركات الأشجار والأمواج ومر السحاب وتشكيلات النجوم وأشكال القمر وروائح الزهور والنبات والحشرات وطعوم الموجودات الطبيعية كالفواكه وغيرها. وكذلك ما يتصل بحاسة اللمس مثل: حرارة الأجسام وملاستها وخشونتها.
ب – **صناعية**، وهى التي يصنعها الإنسان سواء كانت ذات طبيعة صوتية مثل: الأجراس والصفارات، أو حركية مثل:حركة عقارب الساعة، أو شكلية كالأضواء الملونة، أو شمية كالعطور، أو ذوقية كالمشروبات والأطعمة، أو لمسية كحرارة الأجهزة أو برودتها.
وهناك تصنيف آخر بُني على البساطة والتركيب فالعلامة البسيطة مثل إشارات المرور وإشارات التحية والإيجاب والرفض. ومن أهم العلامات المركبة اللغة الإنسانية لأن فيها أكثر من مستوى واحد بدء بالصوت فالكلمة فالتركيب النحوي.

الدراسات السيميائية للنص المقدس

يقصد بالتحليل السيميائي للنص، دراسة هذا النص من جميع جوانبه دراسة سيميائية تغوص في أعماقه، وتستكشف إشاراته ورموزه، ومدلولاته المحتملة مع محاولة ربط النص بالواقع، وما يمكن الاستفادة وأخذ العبر منه.
وأود قبل البدء في التطرق إلى جوانب التحليل السيميائي أن أنوه إلى أن التحليل السيميائي يتأثر بدرجة كبيرة بشخصية من يقوم بالتحليل، وبالظروف المحيطة به، ولذلك فإن التحليل السيميائي لنص معين قد يختلف من شخص إلى آخر، ومن منطقة لأخرى، ومن فترة زمنية لأخرى؛ وهو بذلك مجال خصب للإبداع فلا قيود عليه، إلا أن تكون هناك دلائل في التحليل المقترح على صحة ما ذهب إليه من قام بعملية التحليل، لذلك فعلى من يريد استخدام هذا التحليل الجديد على نص مقدس أن يتمتع بمهارات كثيرة، وأولها اللسانية اللغوية، وثانيا أن يكون مطلعا جيدا علي التفسيرات الأصولية، والقراءات الحديثة ومدارسهم.

وبالتالي فإن التحليل السيميائي يركز على جانبين:
- الرمزية والدلالات في النص مجال البحث.
- ربط النص بالواقع برؤية عصرية تكتشف جوانب جديدة لم يتطرق إليها الكثيرون.

النص المقدس هو رحم النصوص الأدبية

تحمل النصوص الدينية في دلالاتها النهائية سمة النبوءة، فضلا عن تفسيرها لأصل العالم والوجود الإنساني، وعلاقته بالمطلق وهذا ما جعلها مصدرا مهما وممتد التأثير في القرون المتتابعة، بل إن جهودا فكرية كبيرة بذلت من أهل الفكر المؤمنين لإيجاد تصالح بين التصورات التي جاءت بها هذه النصوص خاصة بعد ما أشاعته الفلسفة والمنهج العلمي من نزعة عقلية تتجافى أحيانا عما دأبت تفسيرات الكتب المقدسة على ترسيخه في الكثير من المسائل؛ لذلك تظل التفسيرات والتأويلات والقراءات الحديثة تواصل ردم الهوة الماثلة، والحديث عن تأثير تلك النصوص الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ والممتلئة على نحو هائل بمستويات متعددة من جوانب المعرفة والإبداع في ما أنتج الإنسان من إبداعات أدبية، بل وحتى تاريخية بسبب قدرتها على التماهي مع المنطق التاريخي لأصل الإنسان ومجيئه إلى العالم.

وبدءً يمكننا القول أن النص الديني صورة من صور النص الأدبي بل هى بدايته؛ فالكتب المقدسة هى نصوص أدبية رصينة، لها خصائصها الإبداعية المميزة، ولذلك فليس من السهل التغاضي عما تتضمنه من عناصر فنية وجمالية، ولهذا كانت لها كل تلك القدرة على التأثير في الآداب، ولا يمكن الفصل بين النصوص الدينية والأدب، فالنصوص الدينية هى مدونات أدبية تحمل من سمات الأدب الكثير وحتى القرآن الكريم فيه من الشعر والقصة والجمال الكثير.

فالدين بكل مستوياته كنصوص مقدسة، ومنظومة قيم، وتاريخ له حضور فاعل وأساسي في الأدب العالمي بصورة عامة، وظلت الرموز الدينية وما يمكن أن نسميه الجانب الأدبي في النص الديني المقدس، من استعارات وأمثال ورؤى تمثل خزينا هائلا للتشكيل الادبي بمفردات تتكرر كثيرا كالملائكة والشيطان، والإله والجحيم

والجنة والفردوس، والعقاب والخير والشر، وهي كلها مفردات مرحلة من النص الديني دون شك، ولكنها تأخذ داخل النص الأدبي توجها مختلفا ربما، يلبي حاجات المؤلف للتعبير عن فكرته الخاصة، ولا يمكن تصور أن أديبا مرموقا لم يقرأ القرآن الكريم أو الكتاب المقدس، وما أعنيه بقراءتهما هنا إنما القراءة الجادة الرصينة التي غالبا ما تكتشف محفزات جديدة للإبداع لما تمتلكه النصوص المقدسة من مجالات إبداعية جمة على كافة الصعد: اللغوية، البلاغية، المعرفية. وهذا الامتلاك لا يقتصر على نصوص دينية مقدسة دون غيرها، بمعنى أن (إبداعات) الكتاب المقدس بشقيه (العهد القديم) و(العهد الجديد) لا تقل أهمية عن (إبداعات) القرآن الكريم.

وربما كان من المفيد هنا أن نُذكر بالنقلة الكبيرة التي حصلت في مجال اللسانيات خاصة، والمجالات العلمية الأخرى، فلهذه الرؤية المعاصرة الفضل في الكشف عن قراءات جديدة للنص بشكل عام إذ أتاحت المناهج العلمية الفرصة لقراءة النصوص التاريخية ومنها النصوص الدينية بطريقة علمية؛ فلا تظل النصوص المقدسة حبيسة القراءات التقليدية التي تتجاهل ما للنص من مستويات متعددة في القراءة، وما يحيط به من عوامل تاريخية ساهمت بشكل أو بآخر في تكوينه، ولولا أن الكثير من القراءات ما زالت تجتر من الماضي متوقفة عند مستوى واحد من الفهم، لأمكن التخلص من الكثير مما تسببه النصوص الدينية من إشكالات ذات طابع سياسي واجتماعي يشهدها العالم قديما وحديثا، ولعل في غلبة المقدس لهذه النصوص وما ألفه القراء هو الذي حال دون وجود قراءة منفتحة تتناسب مع الرؤية المعاصرة التي لم تعد تتمثل الرؤية التقليدية الجامدة، والطريف أن ما نؤاخذه هنا على القراءات الضيقة للنص الديني قد وجدت في أدبيات قديمة، ومنها ما نجده عند الصوفي ابن عربي، الذي انتقد في مواضع كثيرة من كتبه الفهم السطحي للقرآن، والتوقف عند مستوى واحد من الفهم، ورأى في ذلك ضربا من الجهل؛ وكأن الصوفية قد شعروا مبكرا لما يمتلكونه من حدس دقيق وحس جمالي نافذ، بما تنطوي عليه اللغة في طبيعتها وكذلك النصوص من جوانب تحتاج معه إلى مستوى متميز من الفهم؛

لهذا فقد نشأت عداوة حتى يومنا هذا بين من يقرؤون النص ضمن مستوياته المتعددة، وبين من يتوقف عند مستوى واحد لا يتمثل سواه.

تطبيق السيميائية على القرآن الكريم

سيميائية العنوان والغلاف والإهداء

تتبارى الكتب فيما بينها حول جماليات العتبات الأولى لها، ويقصد هنا بالغلاف والعنوان والإهداء، بل راح الكتاب أنفسهم يضعون شروطا بينهم وبين دور النشر حول اختيار نوع الغلاف والألوان التي يحتويها، وأي لوحة يمكن أن تتصدر الكتاب وأي فنان يمكن التعاون معه. وكما كان للغلاف دوره كان للعنوان مكانته. وعادة يفكر الكاتب في مشروع الكتاب وتفاصيله من فصول وأبواب ويترك العنوان فيما بعد، وخصوصا إذا كان الكتاب بعيدا عن الدراسة الأكاديمية.

وهذا التباري في الاختيار والتأكيد عليه جعل المتلقي / الناقد يقرأ اللوحة والعنوان والإهداء قراءة نقدية تحليلية، بوصفها العتبات الأولى التي ترشده إلى متن النص، قراءة وتأملاً، ومقارنة وتحليلاً في ضوء ذلك العالم الواسع المتمركز في فضاء الكتاب أو خارجه.
من هنا نجد الكتب القديمة، ومنها الكتب المقدسة أيضا، والتي كانت ولاتزال تخرج من المطابع تخلو من اللوحات التشكيلية أو الاهتمام بالعنوان لأن ما كان في القديم يأتي من دون لوحات فنية إلا ببعض الخطوط والأشكال التي يتعمد صاحب الدار وضعها، أما العنوان فقد كان متجهاً نحو العناوين البلاغية والسجعية. فهؤلاء كانوا لا ينظرون إلى الناحية الشكلية، وثقافة الصورة بقدر ما يضعون الاعتبار إلى متن

النص وجودته .
فمن البديهي أن يكون أمر اختيار العنوان من قبل المؤلف، لذلك يحاول المؤلف أن يعطي لعنوان عمله مسحة فنية، تبعد العمل عن البنية السطحية بقدر الإمكان عندما يقوم بنسجه سواء من خلال الصورة الذهنية أو من خلال متخيله الذهني لذلك قد يأخذك العنوان إلى تأكيدات داخل النص ضمن مجموعة من السياقات أو بعضها كسياقات الحدث أو الوصف أو التركيب اللغوي أو الدلالي فكريا أو حياتيا، وهذا يعني أن العنوان يدخل بك في عوالم عديدة، ومحطات كثيرة في هيكل العمل وجسده بشكل مباشر أو غير مباشر، لذا يقول رولان بارت: العنوان هو نظام دلالي سيميولوجي يحمل في طياته قيما أخلاقية واجتماعية وأيديولوجية.

ولأن العنوان ذو دلالات وعلامات رامزة للنص أو لجزء منه فإن دراسة العنوان تأتي وفق ما يتميز به من وظائف بصرية وجمالية وترويجية أو إغرائية ودلالية، لهذا يطرح الدارس على نفسه الكثير من التساؤلات تجاه العنوان خصوصاً إذا عرفنا أن العنوان هو (أعلى اختزال وتكثيف لغوي ممكن ليفرض أعلى فاعلية تلقٍّ ممكنة) وهو مقطع لغوي يعلو في النص، وتتحكم فيه قواعد نحويةً وسيميائية وقد حاول بعض العرب في أواخر التسعينات الاخذ بعلوم حديثة قد تساعد في الكشف عن الدلالة في الاسم أو العنوان عامة، ومحاولة فك شفرته الرامزة فجاءت الدراسات اللسانية، ومن بعدها الدراسات السيميائية، وهي مباحث لا تزال تخطو خطواتها الأولى وتعاني من نقص المراجع على مستوى التنظير، فضلا عن نقص الدراسات التطبيقية، فما بالك بدراسات تتناول نص سماوي كالقرآن الكريم.

وقد ظهرت ارهاصات سيمياء العنوان خاصة سنة 1968 من خلال دراسة للعالمين الفرنسيين: فرانسوا فروري، وأندريفو نتانا، تحت عنوان: عناوين الكتب في القرن الثامن عشر.
والعنوان اصطلاحا معناه سمة النص وعلامته، وهو أول لقاء مادي محسوس بين المؤلف والمتلقي، وله دلالة بصرية وأيقونية، فدلالة

الظهور والبروز والحيز الذي يشغله من الصفحة يشكلون صدى العنوان في نفس المتلقي، وخاصة في عصرنا الحالي، وبالتالي فله معاني دلالية، وعلامات إيحائية مثله مثل النص، له بنية سطحية ومستوى آخر عميق، وبالتالي فالعنوان يمدنا بمفتاح شفرة النص وفهم ما غمض منه، فهو بمثابة الرأس من الجسد، وقد يكون العنوان طويلا فيسهل تأويله أو قصيرا فيصعب قليلا أو عبارة عن لفظة واحدة أو مجرد حرف واحد، مثل بعض أسماء سور القرآن الكريم (سورة ص)، وهو ما يحتاج جهدا أكبر لما به من اختزالية وتكثيفية وإيحائية.
وعمومًا فإننا نجد أن الكتب المقدسة تأتي في غلاف مقوي داكن اللون إسود أو بني أو أخضر أو أزرق داكن، وعليه الاسم بارزا أو غائرا فقط، ومضافا إلى كلمة الكريم، كالقرآن الكريم. أو لفظة المقدس، كالكتاب المقدس ويكون خاليا من أي صورة؛ لسببين، أولهما أن الأصولين يتخوفون من الرسومات، وثانيهما هو صعوبة وضع صورة واحدة تعبر عن كل فحوى الكتاب. اللهم إلا من بعض الزخارف التي تحيط بالاسم، وبدون اسم المؤلف وبدون أي إهداء، ويتم اختيار نوع جيد من الورق ونوع رصين من الخطوط والألوان، وهذا الشكل جعلها كتب مميزة؛ تتعرف عليها من أول وهلة وهو ما يضفي عليها هذه المسحة من القداسة.
وعلى هذا فقد خرجت معظم كتب التراث والحضارة، والتراجم خالية من فنية الغلاف، واقتصر الأمر على التجليد المقوى والعنوان واسم المؤلف.

سيميائية أسماء السور

كما ذكرنا من قبل، لم يكن يعرف العرب عنونة المصنفات إلا نادرا كعنوان (المعلقات) أما بعد القرآن فعرفوا العنوان وهو تقدم مدهش بالنسبة لهم واختلف العلماء في أسماء السور والتي قد تتعدد وهل هي توقيفية بالوحي أم باجتهاد الصحابة؟
قال السيوطي في كتابه الاتقان: وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف

من الأحاديث والآثار.
وما أميل إليه أن المشهور من الأسماء والمدون منها الآن بمصاحفنا، هو توقيفي فكان جبريل يخبره أن يضع آية كذا في سورة كذا وأما الأسماء الأخرى غير المشهورة فهي مجرد صفات اجتهادية للسور.
واسم السورة وسبب اختياره له علاقة وثيقة بمحور موضوعات السورة، وهو موضوع لم يحظ باهتمام الباحثين.

فسبب توقيفية اسم السورة من الله تعالى وهو ما نميل إليه، وهو موضوع ليس بالهين خاصة وأن ما قاله السابقون رغم وجاهته، إلا أنه في عصرنا هذا لا يرضي عقلا ناقدا يحاول أن يربط الاسم بالمحور بالمقاطع بالموضوعات في السورة للوصول لمعنى باطن أو عميق أو تاويلي للاسم.

ويمكن تقسيم أسماء السور إلى العديد من الحقول الدلالالية الكثيرة ونعرض منها:
الحقل الدلالي للأسماء الدالة على البشر: المؤمنون – الكافرون – المنافقون – المطففون
الحقل الدلالي للأسماء الدالة على الآيات العجيبة: البقرة – المائدة – الكهف – الفيل
الحقل الدلالي لأسماء يوم القيامة: الحشر – القيامة – الزلزلة – القارعة – الانشقاق
المقاربة السيميائية لأسماء السور جديرة بالبحث؛ لما ستكشفه من بنيات عميقة يتضمنها النص مما تؤدي إلى فهمه، وتقرب دلالاته والوقوف على صدى معانيه في المتلقي، وبما سيسمح به من الاحتفاظ بإيحاءات ودلالات مختصرة أوجزها الاسم أو رمز لها، فاسم السورة حامل للمعاني الصحيحة حين يكون النص فاتحا بابه أمام كل التوقعات، ونحن نعلم يقينا أنه ليس بالأمر السهل أن نتوصل لمعان عميقة مخفية، وفي نفس الوقت، لاتخالف أصول اللغة العربية أو معاني حروفها، وتخدمنا في ربط اسم السورة بمحورها وعنوانها، وبلا شك فإننا نحتاج إلى طريقة مبتكرة مختلطة، من منهاج قديم وآخر

حديث يراعي قدسية النص الإلهي محل البحث، ثم نحاول اسقاط الطريقة هذه على كل سور القرآن كاملا، وقد قمت من قبل بعمل بحث موسع في هذا الشأن، تتضح معالمه من أخذنا لسورة البقرة مثالا.

سورة البقرة مثالا

أولا: المعني التركيبي السطحي وهو بعد أولي سواء تعلق الأمر بالدلائل اللسانية أو غير لسانية، فاللغة تتشكل من فونيمات (أصوات)، ومورفيمات (وحدات صرفية)، ووحدات معجمية، وهذه الوحدات تخضع لقانون اللسان الذي تنتمي إليه وانطلاقا منه يصبح لتركيب هذه الوحدات معنى. ونتوصل لمعاني كثيرة من المعجم كمعنى بقرة وهو الحيوان المعروف، أو الكائن المقدس لدى الهنود، أو تحويل الاسم إلى فعل، وأيضا من خلال أسرة اللفظ من خلال المعاجم للجذر اللغوي والمعنى التركيبي الصوتي من خلال معاني الحروف للاسم، من خلال طريقة معرفة خصائص الحروف العربية ومعانيها وللجذر الثنائي والثلاثي ب ق ر.

ثانيا: التحليل الدلالي وهو بعد ثانوي ويهتم بالمعاني في علاقتها بالسياق، ومن خلال قصة الحدث بالنص أي علاقة قصة البقرة بمحور السورة العام وهو إحياء منهج الهداية، وذلك من خلال المراجع والتفسيرات للقصص القرآني.

ثالثا: التحليل التداولي وهو بعد ثانوي أيضا ويهتم بقواعد التأويل وهي الطريقة التي يمكن أن يستخدمها المتلقي في تأويل المعنى، حسب الخلفية والمرجعية الثقافية، وهذا ما قمنا به من ربط كل هذه المعطيات معا في محاولة اجتهادية للوصول للمعنى العميق لاسم السورة، بعد دمج كل الأدوات اللسانية للوصول لصيغة سيميائية تعطي تحليلا

وتأويلا للاسم يثبت توقيفيته.
ولابد القول هنا بأن المعاني لا تمدنا بها اللغة بوصفها أولية أو الاشياء بوصفها ثانوية، وإنما تمدنا بها الثالثية، أي الفكر الذي هو موضوع التداولية وبالتالي فلا وجود لعلم الدلالة بدون تداولية.

الآيات التي ذكر بها اسم سورة البقرة: ذكر الاسم 4 مرات بصيغة مفرد نكرة، ومرة بصيغة الجمع المعرف ب الـ ، وذلك في خمس آيات متتالية من 67 إلى 71 في السورة:
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)

محور موضوعات السورة: إحياء منهاج الهداية والخلافة
الآية المفتاح: ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)
صفات أخرى لاسم السورة: وهي أطول سور القرآن وبها أطول آية بالمصحف وهي آية الدين رقم 282، وتسمى السورة بفسطاط أو سنام القرآن لكثرة أحكامها، واكتملت بعد 9 سنوات من النزول المنجم، وهى تقريبا كل مدة بقاء الرسول الكريم بالمدينة.

الجذر اللغوي وأسرة اللفظ: البقرة، هى حيوان، وقد تكون من الفعل انبقر بمعنى انشق - أو أبقر بمعني شق، مثل أبقر المرأة عن جنينها أي شق بطنها عنه - وبقر الغزاة بطون النساء – وبقر الحديث أي أوضحه وكشف عنه - وبقر الأرض أي عرف خبرها - والباقر تعني أيضا كثير العلم، والسورة فعلا كثيرة العلم والأحكام - وبقر المسألة أي بحث فيها وبدقة - أو بقر أهله أي فتش أمرهم وعرف أحوالهم - أو

بقرت الفتنة القوم أي فرقتهم وصدعت ألفتهم – وبقرة بني إسرائيل يضرب بها المثل في الشئ يأمر به السيد أو الرئيس. وبالتالي فان الجذر اللغوي هو: ب ق ر

معاني حروف الجذر:
ب: هو حرف شفوي مجهور، انفجاري شديد، وبصري، ويعني الحفر والانبثاق والاتساع.
ق: هو حرف مهموس سمعي، مهوي انفجاري، يوحي بالقشر ويعني الشق والانفراج.
ر: وهو حرف مجهور متوسط الشدة، وبه حركة ويعني التكرار ويعبر عن أعضاء الجسم.

إذن فالمعني العام للحروف معا: الشق الاتساعي للبطن أو تقشيرها لتنبثق منها وتخرج وتحيا الحقيقة. أو بعث منهاج جديد ليستمر، ويناسب كل عصر، وهو معنى يطابق تقريبا ما اخترناه كمحور عام للسورة: إحياء منهاج الهداية والخلافة

قصة الحدث الفريد: بعد أن نجى الله اليهود من فرعون وجنوده، وفلق وشق لهم البحر وأغرق أعداءهم، وتفجرت لهم العيون وأنزل إليهم المن والسلوى، ورؤا من الآيات الكثير، وبعد أن جاوزا البحر أتوا على قوم يعبدون أصناما قالوا يا موسى اجعل لنا إلها ملموسا مثلهم، وعندما غاب موسى عنهم للقاء ربه عملوا ما كانوا يطلبون منه فصنعوا وعبدوا العجل الذهبي.
لاحظ أن العجل هو أيضا من البقر، ولاحظ أيضا لون هذا العجل الأصفر فهو من الذهب، وكان اختيار العجل موفق من السامري لما له من أهمية في الزراعة والخير عند الفلاح المصري القديم، وأيضا لما له من قدسية كالبقرة حتحور، وكان اليهود من معاشرتهم لأهل مصر قد تطبعوا بعاداتهم حتى أنهم طلبوا استبدال المن والسلوى بطعام المصريين، والذي تعودوا عليه بعد أن ذابوا في حضارة واسلوب حياة القوي الذي اختلطوا به، وترسخ ذلك داخلهم قال تعالى: وأشربوا في

قلوبهم العجل - ونسوا كل النعم والآيات، ثم عفا الله عنهم، ثم جاءت قصة البقرة لتؤكد ما هو كامن في أنفسهم من جديد.

وملخص قصة البقرة في السورة تروي، أنه كان في بني إسرائيل، شيخ موسر قتله بنو عمه طمعا في ميراثه، وألقوا بجثته بفناء قرية أخرى، ثم جاءوا يطالبون بديته، وادعوا على أناس بقتله واشتبه الأمر على الجميع، فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما خفي من أمر القاتل، فأوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة صفراء كالذهب أو ضوء الشمس، ويضربوه ببعضها فيحيا ويخبر بقاتله، وعندها بدأ استهزائهم وتنطعهم، ومخالفة الأمر الإلهي وزادوا في السؤال، فشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وكانت هذه عادتهم، أشار جميع المفسريين إلى علة الأمر بذبح البقرة دون غيرها من الحيوانات لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يضمرون في أنفسهم من تعظيم لهذا الحيوان كما أوضحنا سالفا.

وبالتالي زوال ما في نفوسهم من عبادته، وأن الإله المادي المجسم هو أمر باطل، وأن الحيوان مهما كان لا يصلح أن يكون معبودا أو مقدسا، ولكنها ماديتهم المفرطة التي ظلوا يؤكدونها ويريدون بسببها رؤية الله جهرة، أو أن يجعل لهم إلها مجسما. والغريب أنه وحتى يومنا هذا ما زال فريق كبير من البشر بجنوب شرق آسيا يقدسون البقرة.
كذلك أوضحت القصة كيف كانت معاندة اليهود للأنبياء، بل وقتلهم وسفكهم الدماء والتنصل من الجريمة، وصدق فيهم قول الملائكة عن الخليفة في الأرض بأنه سيسفك الدماء. كذلك يتضح لنا كيف أن الله أراهم كل هذه الآيات وختمها لهم بإحياء الموتى من خلال قصة البقرة وبأيديهم وأمام أعينهم؛ ليستيقظوا وتلين قلوبهم لإحياء منهاج الهداية والخلافة، ومن الملفت أن موسى لم يتدخل بنفسه لإحياء الميت كي لا يقول أحدهم انه ضرب من السحر، ولكنه جعلهم يفعلون ذلك بأيديهم ويتيقنوا من إحياء الله للموتى، ولكن حدث معهم العكس – كعادتهم - حيث تقول الآية بعد القصة: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وكما يقال في اللغة العربية: قد بقرت الفتنة

القوم أي فرقتهم وصدعت ألفتهم.

سبب توقيفية الاسم: تسمية السورة بالبقرة يأتي صراحة من قصة بني إسرائيل بالسورة، ولم يرد لفظ بقرة بأي سورة أخرى أو أي ذكر لقصة البقرة، وربما يكون ذلك أحد أسباب تسميتها بذلك الاسم. وكذلك فإن البقرة قد تكون أيضا من الشق وليس الحيوان أو كلاهما معا. فبقر بمعني شق بطن الحقيقة لإيضاحها واستخراج المنهاج الخاتم للبشر بعد هذه المسيرة.
ومما لاحظناه ارتباط الآية المفتاح أو محور السورة مع أول آية ذكر بها لفظ بقرة، من أنه كان أمر من الله تعالى وأنه ليس أمرا غريبا كما يراه الجاهلون
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ (67)
والسورة تؤكد استجابة الله تعالى لعباده، عندما طلبوا الهداية للصراط المستقيم في الفاتحة ب (إهدنا الصراط المستقيم) فقال لهم الله تعالى في بداية هذه السورة أن منهج الهداية بهذا الكتاب، وأن هذا الكتاب لاريب فيه (هدى) للمتقين، وبه الصراط المستقيم، والفرقان والمنهاج الذي تريدون، ولكن لابد من إحيائه لأن المنهاج بدأ من عهد إبراهيم وانتهى عند محمد عليه الصلاة والسلام، وقد مر هذا المنهاج بفترة طويلة وتعرض للتحريف وأصبح كالجسد الميت، ومن ثم يتوجب ضربه كضرب قتيل بني إسرائيل ببعض من البقرة؛ لإحيائه وليصبح طريق الهداية والخلافة معا، كذلك فإن الله تعالى هنا سيحيي المنهاج والشريعة الصحيحة وبأحكام تناسب آخر الزمان وكختام للرسالات، وقد كانت لدى اليهود آخر شريعة، ولكن أضاعوها وأماتوها بكثرة السؤال والجدال فضيقوا على أنفسهم ثم انتهى بهم الأمر لتعطيل أغلب ما في هذا المنهاج.

وقصص الإحياء بالسورة: خمس قصص في إحياء الآدمين، وقصة في إحياء البهائم، وقصة إبقاء الطعام والشراب، وقصة في إحياء الطير، وكانت قصة الإحياء في موضوع البقرة أدل على القدرة وأوقع في

النفس، لبساطتها ولعملها بأيديهم وأمام جمع غفير من الناس، عكس قصص الإحياء الأخرى بالسورة، كقصة إبراهيم مع الطير أو النبي الذي مر على قرية، ولم يشهد هذه المعجزات إلا هما وحدهما.
أوضحت السورة قصة الإنسان والرسالات من خلق آدم وصولا لأقدم تجمع بشري موحد ولديه شريعة، وما زال بعضهم بيننا وهم بني إسرائيل وذلك من الآية 40 وبدأت تعدد أخطاءهم ونواقصهم وتحذر المؤمنين من الوقوع في نفس الأخطاء، وأن الشريعة المحمدية هى إحياء لشريعة اليهود، ولتظل من وقت نزولها على المصطفى إلى يوم القيامة هى الشريعة العالمية الصالحة للخلافة.

والحديث بشكل عام بالسورة عن أهل الكتاب واليهود بصفة خاصة، أما المسيحيون فقد جاء الحديث بشكل موسع عنهم في سورة آل عمران.
والشيء القاسي في الأمر أن الله تعالى في اختياره عنوانا للسورة قد خلد اسم البقرة بدلا من اسم يهود موسى في السورة التي أسهبت في إيضاح قصتهم، وكان من الممكن أن تسمى بني إسرائيل أو اليهود.
فحقيقة بني إسرائيل تعريها قصة البقرة على قصرها، لأنها جمعت كل صفاتهم السيئة فغدت البقرة عليهم عنوانا وما استحقوا شرف تسمية السورة باسمهم.
وبالتالي يمكننا أن نقول أن اسم سورة البقرة هو بمعنى سورة البقر أى شق بطن حقيقة الإحياء للتمكن من الاستخلاف.

سيميائية الآية المفتاح ومحور السورة

البسملة

وهي بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. وهى علامة افتتاحية لكل السور وتحمل

دلالات ومعاني تبعث السكينة والطمأنية في نفس القارئ وتمنح النص القرآني تميزه الأيقوني. والأرجح فيها أنها آية من سورة الفاتحة خاصة بها وتعد من آياتها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (1) الفاتحة. وخلاف ذلك فهي فاصلة بين السور. ولا تفصل بين الأنفال والتوبة بسملة وهو ما جعل البعض يجزم بأنهما سورة واحدة، والبسملة هى علامة افتتاحية بعدد السورة في المصحف حيث ذكرت 113 مرة من مجموع 114سورة. وكأن البسملة الموجودة بمتن قصة سليمان بسورة النمل هي البديلة للتي لم تذكر في بداية سورة التوبة. وكذلك قال نوح: اركبوا فيها باسم الله مجراها

إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (30) النمل

والأهم أن القرآن باعتباره رسالة من مخاطِب إلى مخاطَب كان يتوجب توضيح من هو المرسل تماما كما فعل سليمان في رسالته إلى ملكه سبأ فقال إنه من سليمان، وبعد ذلك قال إنه لا يتكلم من نفسه ولكنها رسالة مبعوثة أيضا باسم الله الرحمن الرحيم صاحب كل الرسالة وهدفها.

السورة

في اللغة تعني المنزلة والرفعة وهى كذلك ما حسن من البناء وطال – وسميت السورة من النص القرآني سورة لانها تتدرج من منزلة إلى منزلة أرفع وأسمى ولكل منها مبتدأ وموضوع وخاتمة تتميز بها عن غيرها ولكل منها محور واحد تدور حوله كل موضوعاتها المختلفة كما أنها جميعا تتسلسل وتترابط في ترتيبها التوقيفي بالمصحف بشكل قد أثبتناه ببحث سابق عن الآية المفتاح ومحور كل سورة من سور القرآن.

الآية

سميت بهذا الاسم لأنها آية في محتواها. ولأنها علامة تشير إلى وقف وانقطاع أى بداية آية جديدة. وقد نزل القرآن منجما أى بمعنى آيات

متقطعة تنتهي بنجمة: ۞ علامة نهاية.
إن تقسيم الآيات وترقيمها ووضع الرقم في شكل مزخرف في نهايتها يجعل القرآن نصا متفردا ومختلفا تماما عن أي نص آخر.
وآية سورة الواقعة التي تتحدث عن مواقع النجوم والتي فسرها أغلب المفسرين بأنها عن مواقع النجوم في السماء، وهي بالفعل عظيمة وتستحق أن يقسم بها ولكن الأعظم في رأيي هو الدقة في مواقع النجوم في نهاية كل آية من آيات القرآن ودلالاتها. وكلا التفسيرين صحيح
فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم (76) الواقعة

فواصل الآيات

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أقرأني رسول الله سورة من الثلاثين من ال (حم) يعني سورة الأحقاف وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين.
وفي ذلك أن إحصاء الآيات لكل سورة كان معهودا زمان رسول الله كما جاء في سورة الملك أنها ثلاثون آية.
وقد كان الرسول الكريم يقف على رؤوس الآي، وعرف عنه تقطيع القراءة آية آية، ولم يُعلم عن الصحابة اختلاف يُذكر في ذلك فلو خضع هذا الأمر لاجتهادهم لعُلم فيه الاختلاف.

رغم أن كل آية واحدة هي في حد ذاتها آية وحكمة مركزة لذاتها ولكن لا يجوز أن نقطتعها من سياقها فهي ترتبط بما قبلها وما بعدها وهو ما يسمى بالسياق وإلا فإننا سنفسرها على غير مراد الله فيها، هذا وإن أردنا أن نعمق الفكرة أيضا فكل لفظ يجب أن نتتبع معناه بطول القرآن كله، فكثير من الألفاظ تحمل معنا قرآنيا مختلفا عما هو متداول في لغتنا العربية، وهكذا تنتظم الكلمات في جمل في آيات في مقاطع في سور في أجزاء في مصحف له ترتيب منطقي يمكن ملاحظته.

الآية المفتاح ومحور السورة

قال الشيخ محمد الغزالي أن سور القرآن وحدة واحدة ترتكز على خمس محاور ينتقل بينها دوما من محور لآخر، وخاصة بالسور الطويلة وهذه المحاور هى: الله الواحد - والكون الدال على خالقه - والبعث والجزاء - والتربية والتشريع - والقصص القرآني. وأما طرحنا فإنه يتوصل إلى أن في كل سورة هناك محور واحد بارز ويطغى على بقية المحاور، ويعبر عن موضوعات السورة الواحدة. وتصبح المحاور الأخرى فرعية بجواره، بل تدور في فلكه تخدمه وتوضحه بمنتهى الترابط والتجانس، وكذلك حاولنا إثبات وجود علاقة ورابط بين كل سورة وما قبلها وما بعدها من سور، كالآيات تماما، وقد تحققنا من هذا التسلسل والترابط والتواصل.
والحقيقة التى إتضحت لنا أن في كل سورة محور واحد، تلتف حوله كل موضوعات ومقاطع السورة، وهى مشدودة إليه وتدور في فلكه وتربطها جميعا وصلات ووشائج معا وبالمحور؛ مما يعطي لها وحدة بناء متكاملة في نسق وسياق واحد ولها روح تسري في آياتها، وتسيطر على كل مبادئها وأحكامها وكذلك أسلوبها في وحدة متكاملة.

ونود أن نؤكد في البداية أنه لكي يكون الطرح في هذا البحث مبنيا على منهج علمي، كان ولابد وأن يرتكز على قاعدة علمية ثابتة قابلة للاختبار، ويمكن المعايرة عليها؛ وبالتالي قابليتها للتحقق في كل السور وبطول المصحف وفي كل مرة ودون استثناء ولقد وفقني الله لها - وربما أكون أول من توصل لهذه القاعدة بفتح من الله - ومفادها أن لكل سورة مقدمة وموضوع وخاتمة. وفي التسع آيات الأولى من هذه المقدمة للسور التي تحتوي على أكثر من 9 آيات، وإن كانت السورة قصيرة وأقل من 9 آيات سنجد أن هناك آية من بينهن يمكن أن نطلق عليها (الآية المفتاح) وهي الآية التي تعبر بين ثناياها عن محور موضوعات، ومقصد وهدف وسمات السورة. ثم حاولنا إثبات أن مقاطع السورة تدور كلها حول هذا المحور أو هذا العنوان المقترح.

والذي دفعني لاختيار الآية المفتاح من مقدمة لا تتعدى 9 آيات بحد أقصى، سببين، أولهما تفضيل القرآن الواضح للأعداد الفردية، وتفضيله للرقم 7 ثم 5 أو 9 ، وثانيهما أنني بحثت عن الآيات التي كان فيها ربط رقم مع لفظة آية أو آيات. ووجدت أن الرقم 9 هو الرقم الوحيد المذكور دون الأرقام الفردية الأخرى ملحقا بلفظة آيات وذلك في سورة الإسراء وأكدتها آية أخرى في سورة النمل

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (101) الإسراء

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) النمل

وهي ما كانت الإشارة القوية بالنسبة لي، وأعتمدت مبدئيا أن المقدمة لا تتعدى 9 آيات، وأن الآية المفتاح واحدة منهن، ولكن لابد أن نبدأ الإثبات بتحليل كل سورة إلى مقاطع وموضوعات ووضع عنوان لكل مقطع، ثم محاولة إيجاد مشترك بين كل المقاطع وبعدها نعود إلى التسع آيات الأولى نبحث عن ألآية المفتاح التي تؤكد هذا الاستنتاج، ولقد قمت بإتباع هذا المنهج على كل سور القرآن وتأكدت من تحقق هذه القاعدة دون استثناء والحمد لله، ولمزيد من التفصيل يرجى الاطلاع على بحث الآية المفتاح.

سورة القيامة مثالا

محور موضوعاتها: الجمع هو إعادة الخلق لصورته الأولى

الآية المفتاح: أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3)

نبذة عن السورة: وهي سورة مكية، وعدد آياتها 40 وتبدأ بـ (لا أقسم بيوم القيامة)، ونزلت بعد سورة القارعة.

(بسم الله الرحمن الرحيم)
لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كَلاَّ لا وَزَرَ (11) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12) يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15) لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (21) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25) كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28) وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى (31) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (34) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (35) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)

إثبات أن مقاطع السورة وموضوعاتها تدور في فلك المحور

ورد لفظ القيامة بالقرآن الكريم 70 مرة، فضلا عن ورودها بأسمائها الأخرى مثل يوم الحساب ويوم التناد ويوم التلاق ويوم الفصل أو يوم الجمع وهو موضوع سورتنا.
فقد تكرر بالسورة فعل (جمع) 4 مرات بالسورة أحدهما ضمني، والجمع الأول بالآية هو جمع العظام. والجمع الثاني في علامات الساعة بالآية 9 (وجمع الشمس والقمر). والجمع الثالث هو جمع القرآن بالآية 17. والجمع الرابع بالسورة وكان ضمنيا وهو جمع يوم الحشر.

فالجمع الأول هو جمع عظام الإنسان بدقة حتى تفاصيل البنان أي أصابعه كبداية خلقه تماما.
والجمع الثاني هو جمع الشمس والقمر وإعادتهما كتلة واحدة، والعلم اليوم لا يتعارض مع الرؤية القرآنية بأن السماء والأرض كانتا رتقا ففتقناهما، وهى نظرية الانفجار الكبير، حيث كانتا قطعة واحدة فانفجرت. وفي النهاية سيتم الطوي كطوي السجل للصحف.

والجمع الثالث هو جمع القرآن الذي نزل من السماء الدنيا منجما أي مفرقا في 23 سنة، وسيجمعه الله في مصحف بعد 23 سنة وهو ما بين أيدينا الآن وهو مطابق لما في السماء لأن الله تعهد بجمعه وحفظه.
وهو جمع دقيق كجمع الإنسان تماما ليعود لخلقته الأولى.
والجمع الرابع وهو ضمني وهو الحشر أي يوم الجمع لجميع الكائنات ليوم الدين أي الحساب والجزاء.

والسورة تقول إن الله تعالى قادر على جمع ما خلق بأن يعيده كما بدأه أول مرة كشريط سينمائي، يمكن إعادته بالعكس فنجد بالفيلم مثلا كوب زجاجي يسقط من منضدة على الأرض فيتفتت، وإذا أرجعنا الشريط عكسيا سيعود الكوب سليما وبكل تفاصيله على المنضدة من جديد، وهكذا نجد أن نسج السورة يسير بنفس الطريقة حيث يسير نسقها بشكل عكسي، فبدأت بيوم القيامة ثم إعادة خلق الإنسان وحتى بنانه ثم حياة الإنسان وأعماله ثم حجية القرآن عليه ليحاسب بناء عليه.

ونهاية السورة من الآية 25 تسير هي الأخرى بشكل عكسي، لتوضح حياة الإنسان الفرد، وتبدأ بلحظة الموت والفراق، ثم تتحدث عن حياته وأعماله ثم عن خلقه من نطفة من مني يمنى.

أما استمرارية الخلق بعد ذلك فكانت بالنظام الذي وضعه تعالى، وهو التزاوج بين ذكر وأنثى، وهو نوع من الجمع أيضا، فالتزاوج هو جمع لنفسين بميثاق غليظ، ويجئ السؤال لمن يعي موضوع السورة بالآية الأخيرة - أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟

سيميائية المقاطع في السورة

الحوار فعل تواصلي بين متكلم ومتلق، ويتحقق في موقف سياقي وفضاء ثقافي واجتماعي
ومما جرى تصحيحه قوله تعالى: ومنْهُم الذينَ يُوذونَ النَّبِيء وَيَقولونَ هُوَ أُذنٌ (التوبة:61) أي يسمع الحق والباطل فرد عليهم فيما هو باطل وأحق الحق فقال: "قُلْ أُذنُ خَيْرٍ لَكُمْ"، ولما قصدوا الأذيةَ بذلك الكلام رد الله تعالى عليهم: والذينَ يُوذونَ رَسولَ الله لَهُمْ عَذابٌ اَليمٌ
فأنت ترى أن الحوار موجه وهادف لإثبات الحق، وعملي يقوم على تفريغ موقف الحوار من الأفكار الجاهزة المسبقة.
فالحوار أسلوب لغوي من الأساليب السياقية يصل المتحاورين بموضوع الكلام وصلا عمليا مباشرا، ويُرسخه في أذهانهم ترسيخا؛ لأنه ضرب من الإثارة التي تستتبع الانتباه. وقد ساق القرآن الكريم آيات كثيرة تعالج قضية العقيدة بأسلوب الحوار على لسان بعض الأنبياء الذين حرصوا على إثارة أسئلة تنبه أقوامهم على انحراف مُعتقدهم.
والمقطع إما أن يكون قصة أو حوارا أو تشريعا أو بيانا أو قضية أو مثالا.
تتعدد الأساليب التواصلية للقرآن حسب المقام والسياق، بما يتجاوب مع النفس البشرية في أبعادها المختلفة والمتنوعة، فمرة يخاطب فيها العقل والتفكر بالبديهيات ويرشده للاستدلال المنطقي واستنباط السنن، ومرة يخاطب فيه الوجدان بتطلعاته وآماله وآلامه بالترهيب والترغيب، أو بالقصة والمثل مما جعل القرآن الكريم منظومة تواصلية بالغة التأثير، ومستمرا وصالحا ووافيا بحاجات الإنسان مركز الوجود وغاياته.
فخطاب القرآن قادر على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويخطر في الخيال بحيث لا يختلط شيء بشيء، بل ينفصل كل مقام عن مقام وهذا هو فصل الخطاب.

وقد عرف الزركشي الخطاب بأنه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم. وبالتالي فهو نص يقوم المخاطب بتوفير وسيلة الإفهام

لإيصال الرسالة، بشرط أن يكون الخطاب مما تعارف عليه الناس، وأن يكون المخاطب به متهيئا للفهم.

إذن فالخطاب هو الرسالة التي يحملها النص بأشكاله اللفظية، وما بين ألفاظه من علاقات داخلية، وبالتالي فهو بنية لغوية تلفظية تتشكل من مجموعة وسائل اتصال بهدف تبليغ الرسالة، وأدبية هذا الخطاب هي اختيار الأسلوب المناسب مما يجعله مؤثرا ومتفردا، وكذلك كان هناك ما يمكن أن نسميه سيميائية إيقاع القرآن الكريم يقابل (علم عروض الشعر)، بإرساء أركان هذا العلم على ثلاث مقومات هى: تحديد الموضوع، وتحديد جهازه المفاهيمي والاصطلاحي، وتحديد المنهج المتبع في الدراسة بمقابلة فواصل القرآن الكريم بقوافي الشعر، ووزن قراءته التي تقاس بالكلمات، بوزن التفعيلات التي هى أجسام من دون معان، لنحلل تشابك العوامل البنيوية المختلفة للمستوى الصوتي، لتُدرس منفصلة ثم يُعاد تركيبها لمعرفة عملها مجتمعة، وما تولده من علامات سيميائية تكون موضوعا للتأويل لاستخلاص المعاني الإيحائية، في المستوى الصوتي الذي يمثل العمود الفقري للشكل الإبداعي للقرآن الكريم بالإفادة من البحوث التراثية السابقة.
والتوازن الذي يعد مصدرا لرشاقة الأسلوب القرآني وهو جزء من أجزاء حسن استقبال النفس له. وسنعرض مقطعا قصيرا هو سورة الناس لنتعرف على المستوى الصوتي.

سورة الناس مثالا

استثمرت سورة الناس الصوت بكثافة عالية، إذ استعملت كلمة الناس كفاصلة خمس مرات من أصل ست فواصل، حتى كلمة خناس التي تتألف من مقطعين (خن + ناس) فيها المقطع ناس وبالتالي يكون التجانس تاما. كذلك تكرار حرف السين 10 مرات في السورة، يوحي بتأليف صورة سمعية تجعلنا نعرف موضوعها من الصوت المجرد المحاكي لتجليات المرجع، وهو الموسوس، وهو من نلاحظه حيث

كثرة حرف السين توحي وتلقي في الأذن بما يشبه الوسوسة.
ومن الملفت أيضا، أن القرآن الكريم بدأ بسورة البقرة، وانتهي بسورة الناس، وهو ما يرمز إلى نقلة نوعية من الحيوانية إلي البشرية إذا تم إتباع ما بين السورتين من منهاج من جانب من توجهت إليهم الرسالة.

وقد قام باحثون كثيرون مؤخرا بعمل أبحاث عديدة على تطبيقات سيميائية موضوعية، بمعنى أنها تتناول موضوعا معينا بطول القرآن مثل النفس البشرية في القرآن، أو سيميائية الخوف، أو السخط في القرآن، أو سيميائية الألوان في القرآن، أوسيميائية الشخصية في القرآن ..إلخ
وسنعرض هنا سيميائية القصص والأمثال والقسم في القرآن بإيجاز سريع.

سيميائية القصص في النص القرآني

قصص القرآن من غيب الماضي، تُسرد بشكل استرجاعي، ويُتطلب التصديق بها إلى أن يثبت صحتها أثريا وعلميًا، من خلال السير والنظر في الأرض والملكوت باعتبار أنها حقيقية الوقوع. وقص القصص هو أحد أساليب القرآن لترسيخ المعاني في النفوس، وهي بالطبع ليست للتشريع، ولكن للعبرة والعظة. ويمتزج الجزء المذكور من القصة بموضوع ومحور السورة التي جاء فيها امتزاجا عضويا لا مجال فيه للفصل بينهما. والقصة في القرآن تتناول الموضوعات تناولا فنيا محكمًا. وتشبه القصة القصيرة في ومضاتها الخاطفة ودلالاتها العميقة ومن خلال المفاجأة والصدمة. وقد أتت القصص القرآنية بما هو غير معروف عند العرب من حبكة ورسم الشخصيات وتصاعد الصراع وانفكاك العقدة وزوايا المشاهد المختلفة المنتقاة حسب الموضوع الأساسي للسورة ومحورها ومتناغمة مع سياقها.
وعلى عكس ما يعتقد البعض، من أن القصة تتكرر في السور وتتناثر دون رابط. ولكنها في الحقيقة تتضح وتكتمل. ففي كل مرة نجد فيها

جديدا حتى تبدو واضحة جلية لمن أراد تجميعها وتحليلها.

وتجيء القصة القرآنية متفاوتة الحجم بالسور فمنها ما جاءت مكتملة في سورة واحدة كسورة نوح. أو في سورة كاملة إلا قليلا كسورة يوسف أو قصة موسى بسورة القصص، وهما سورتان متشابهتان بشكل لافت جدا كما لو كانتا إحداهما صورة أصلية والأخرى نيجاتيف فهما متشابهتان في الإطار والأحداث ومختلفان في التفاصيل أو الألوان! وهناك من السور من اشتملت على أكثر من قصة وهو الغالب بالقرآن. وسور أخرى اشتملت على قصة واحدة ولكن في جزء قصير من السورة وهو كثير أيضا.
والقصص في القرآن قد تناولت قصص 25 نبي ورسول، وقصص أخرى عن غير الأنبياء – حسب أرجح الأقوال- مثل لقمان والعبد الصالح وذو القرنين وأهل الكهف والعزير وابني آدم ومؤمن قوم فرعون. وكان في كل قصة رمز أو علامة سيميائية، ففي قصة آدم كانت الشجرة، وفي قصة نوح كانت السفينة، وفي قصة إبراهيم كان البيت، وفي قصة إسماعيل كان الذبح العظيم، وفي قصة يوسف القميص، وفي قصة موسى العصا، وفي قصة قومه العجل، وفي قصة صالح كانت الناقة، وفي قصة يونس كان الحوت، وفي قصة زكريا كان المحراب، وفي قصة مريم كانت النخلة. وتناول القرآن أيضا القصص المحمدي وهى متفرقة في العديد من السور مثل التوبة والأنفال والطلاق والنور والممتحنة وغيرها، وكان الغار ذو رمزية في القصة.

البداية في أي قصة يكون بها مفتاح عقدتها، وفيها نقطة الانطلاق وعليها تبنى بقية الحكاية، ومنها تشتد حبكتها وتلقي بدلالاتها. ونقطة البدء في قصة الإنسانية كانت من آدم وهى بداية ذكرتها كل الكتب السماوية، وحتى ما يعتبر منها كتب مقدسة لأهل الديانات الأرضية الوضعية، وذُكرت بأشكال مختلفة. وكان أكثر من توسع في القصة وأثر في الرواية الإسلامية لمفسرينا، هو سفر التكوين اليهودي، ومنه كانت بداية التأويلات، ثم نُسجت حولها لعمل مزيد من الإثارة مجموعة من الخرافات والأساطير. والإسرائيليات (جمع إسرائيلية)

وأصبح مصطلحا يُطلق عموما على أي تفسيرات من خارج إطار القرآن والسنة الصحيحة. والإسرائيليات اشتملت على تفصيلات كثيرة بل ومتعارضة أحيانا، وتُناقض نص القرآن وصحيح المنطق في أمور كثيرة. والغريب أن القرآن قص علينا القصص الحق حتى لا نتورط في تصديق الأساطير والإسرائيليات، ومع ذلك ذهب بعض مفسرينا إليها وأتوا بها ليفسروا بها النص القرآني رغم أن تفسيره موجود بين صفحاته؛ فأدق تفسير للقرآن يكون بالقرآن نفسه.

قصة آدم مثالا

وقصة آدم الحقيقية، هى كما في الرواية القرآنية المحفوظة كغيرها من القصص، وتمتلئ بالرمزية والدلالات والإشارات اللغوية، التي يتوجب الوقوف عليها لفهم مغزى القصة، وهو ما قمنا به في بحث سابق، ومنهج هذا البحث يقوم على جمع كل الآيات المتعلقة بالقصة بطول القرآن وكما رواها، ثم نرتبها منطقيا بتفصيلاتها في شكل قصة قصيرة، ثم نبدأ في إلقاء الضوء على الدلالات والعلامات والإشارات في القصة، وهو مجال السيميائيات فالكتب المقدسة تمتليء بالرمزية والإشارات، وتحتمل وتستوعب صياغتها الفريدة تأويلات متعددة لنفس النص. لذلك وتوخيا للحذر كان تحليلنا للآيات أقرب لعلم اللسانيات منه للسيميائيات، ونستخدم في التحليل الآيات نفسها عن القصة، أو بآيات أخرى من القرآن تشرح معنا معينا دون الاستعانة بأية مصادر آخرى. وبناء على هذه الرؤية القرآنية نتوصل للطرح الذي نرتاح ونميل إليه. فإذا فهمنا القرآن وبلغته نستطيع أن نعاير ونقيس عليه ما هو دونه من روايات مغلوطة أو إسرائيليات أو أساطير.

وردت قصة خلق آدم وسجود الملائكة، ورفض إبليس السجود، وخروج آدم وزوجه من الجنة، وقصة ابني آدم في 8 مواضع من القرآن الكريم، بالترتيب التالي: البقرة وكانت آخر ما نزل في القرآن

عن القصة – الأعراف – الحجر – الإسراء – الكهف – طه – ص. وسورة ص كان بها أول ذكر لقصة آدم أي بترتيب النزول وهي آخرهم في الترتيب الحالي للمصحف، أما قصة ابني آدم فقد جاءت في موضع واحد فقط بسورة المائدة.
وذكر آدم 25 مرة في المصحف أما إبليس فقد ذكر 11 مرة والشيطان 80 مرة. وقصتنا عبارة عن قصة قصيرة عدد سطورها في المصحف 73 سطرا متفرقة في 8 سور بعدد 87 آية.
قصة آدم هي أول قصة تذكر في القرآن الكريم كمصحف، وذلك في بدايات سورة البقرة، فبعد أن طلب البشر من الله تعالى في سورة الفاتحة الهداية إلى الصراط المستقيم، رد الله عليهم في أول سورة البقرة بأن (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) ثم وصف المتقين، ومن بعدهم وصف الكافرين، ثم أسهب بعدهما في وصف المنافقين، وهم جميعا من ذرية آدم؛ لذلك تطرق مباشرة بعد ذلك إلى قصة أبوهم آدم وذلك من أول الآية 28 لنعلم لماذا هذا الاختلاف بين ذريته ومن أين أتى ومتى نشأت جدليات الطاعة والمعصية، والاستغفار والتوبة، والحساب والجزاء، والخير والشر، والاختيار والإجبار.

وتمتلئ القصة بالإشارات كخلق آدم من طين، وهى مادة أرضية، وهى نفس مادة صنع الكائنات الأخرى، ولكن تميز آدم بالروح، كذلك الجنة وأين مكانها في السماء أم الأرض، ورمزية ومعنى سجود الملائكة، ورمزية الشجرة المنهي عنها، وأهمية وجود إبليس، وغيرها من الإشارات التي تناولها البحث، وليس مجالنا هنا إعادة كل ما تناولناه في البحث وعنوانه عم يتساءلون وذلك في الباب الثاني.

قصة يوسف كمثال ثان

كان للوحدة السيميائية (القميص) حضور ملحوظ ومميز في القصة وكان له 3 دلالات. الأولى قميص عليه دم كذب ويتهم فيها الذئب، مما كان سببًا في حزن الأب وفقده لبصره. والثانية حين قدت امرأة العزيز

قميص يوسف من دبر، وكان دليلا على براءته. والثالثة حين تم حمل قميص يوسف وعليه ريحه وتم إلقائه على وجه أبيه فارتد بصيرا.
فالقميص أصبح أداة أساسية في البناء السردي، وتحول إلى نواة مركزية نسجت حولها أحداث القصة، وإمتلأت القصة برموز ووحدات سيميائية عدة، كالسكين وهى دليل التقطيع والذبح، أما بنيتها العميقة فتومئ إلى دلالات الحقد والقسوة. وكذلك لفظة ذئب ويرمز إلى المكر والخيانة، وهي صفات اتصف بها إخوة يوسف
ونلاحظ أن استخراج الوحدات السيميائية يقتضي بالضرورة تفكيك الآيات، لإنتقاء تلك الوحدات السيميائية والتعامل معها، لتشكيل شبكة من العلاقات ذات الدلالات.

سورة يوسف

الآية التي ذكر بها الاسم: قد ذكر اسم يوسف بها وحدها 25 مرة وتم ذكره خارجها مرتين فقط المرة الأولى بسورة الأنعام - 84 والمرة الثانية بسورة غافر – 34

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)

محور موضوعات السورة: تدبير الله لعباده رغم كيد الكائدين
الآية المفتاح: فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)
صفات أخرى لاسم السورة: ولا يعرف لها اسم أو صفة مشهورة غير يوسف

الجذر اللغوي وأسرة اللفظ: يوسف يعني (يهوه يزيد) ويهوه هو اسم الله عند اليهود أي أن معناه (الله يزيد) وقد زاده الله فعلا جمالا وخلقا. ولكل مسمّى من اسمه نصيب حتى قال عنه نبينا (ص) أنه أعطي شطر الجمال.
وإذا بحثا عن أسرة اللفظ في المعاجم فسنجد وسف الشيء أي قشره،

والوسف هو التقشير أو التشقق في فخد البعير عند السمنة ثم يعم جسده ويتغير جلده – أما توسف أي أخصب وسمن، وأيضا توسف تعني سقط وبر البعير القديم المتشقق ونبت مكانه الوبر الجديد أي تغير حاله ولفظ عنه كل سوء فازداد بهاءً وجمالا.

معاني حروف الجذر: وسنوضح معاني حروف الاسم كله لصعوبة تحديد الجذر للاسم
ي: وهو حرف بصري لين جوفي هوائي، ويعبرعن الجهد، ويعبر عن التثبيت والاستقرار.
و: هو حرف جوفي هوائي بصري ويعني الفاعلية.
س: وهو حرف مهموس صفيري، رخوي بصري ويدل على الشئ السوي ويدل على التحرك.
ف: هو حرف شفوي مهموس رخوي بصري به ضعف ووهن ويعبر عن الانفراج والفتح.

المعنى العام للحروف معا: بعد الجهد والمشقة الموجودة في حرف الياء كالصعود من البئر، ثم يأتي الواو ويعني عمل فعال من قوة إلهية وبتدبيرها؛ فيحدث التثبيت والنجاة، وحرف السين وما فيه من تحرك ومسير في الأحداث، وكذلك ما يعنيه حرف السين من الشئ السوي كالنجاة، ثم يأتي حرف الفاء وما به من فتح وكرم فيزداد يوسف بهاءا وملكا.

سبب توقيفية الاسم: مما سبق من أسرة اللفظ والجذر وحروف الاسم اتضح لنا وبشكل جلي محور السورة، وهو تدبير الله لعباده رغم كيد الكائدين، وكيف سارت القصة بالسورة من مكائد متتالية، ثم التدخل الإلهي وتدبيره في كل مرة، إلى أن يحدث الخير والفتح العظيم وتتحقق الرؤية ويؤتيه الله الملك.
ونلاحظ أن أول آية بالسورة ذكر بها اسم يوسف وهي الآية 4 وأن الآية 5 وهي الآية المفتاح تؤكد أن نفس المعنى من أن تدبير الله عظيم كالشمس والكواكب وأن كيد الشيطان وأتباعه كان ضعيفا.

سيميائية أسماء الشخصيات في القصة القرآنية

مريم وهو اسم المرأة الوحيد المذكور في القرآن لاصطفائها مرتين مرة من بين الناس والثانية من بين كل النساء.
ويوسف وهو جميل الخلقة والذي تغير حاله للأفضل لذلك وصفت قصته بأحسن القصص.
يونس حيث أن محور السورة هو البشر الرسول، وهو مشتق من الإنس وبمعنى يؤنس لأنه بشر.
موسى وقد تم التقاطه وليدا من بين الماء والشجر (مو وتعني ماء، وسى وتعني شجر) ولذلك ستكون له قصة مع الماء بشق البحر وعيون موسى وأما الشجرة فقد تحول قومه إلى أسباط.
وإبراهيم وهو (أب راهيم) أي أبو الأمم وقد كان أبو الأنبياء.
للتسمية في التراث العربي سمات ودلالات تحدث عنها قديماً الجاحظ في أكثر من موضع. ولذلك استدعى الاهتمام بأسماء الشخصيات التي لا شك أنها اختيرت عن قصد، بحيث تشير إلى دلالة معينة يوحي بها الاسم بعد أن تتضح صورته في ذهن المتلقي.

الوظائف السردية للشخصيات

يقصد بالوظيفة السردية للشخصية، ما تمثله هذه الشخصية وملامحها الخاصة في المجتمع، ونستنبط من النص الدور الذي تمثله هذه الشخصية في المجتمع، كفرعون موسى والملك في قصة إبراهيم وكان الأول من الظلم والتكبر الكثير، وأما الملك في قصة يوسف فكان ذكيا وعادلا وحصيفا وهكذا في كل القصص القرآني نستطيع استخدام سيمياء الملامح الداخلية النفسية والعقائدية للشخصيات، وكذلك الملامح الخارجية الجسدية للشخصية، كما كان في وصف طالوت وبأن الله زاده الله بسطة في العلم والجسم، وموسى الذي وصفته ابنة شعيب بأنه القوي الأمين.

سيمياء الزمان والمكان والعلاقة بينهما

لعل من الفضول العلمي أن نستفسر عن الزمن الذي حدثت فيه قصة ما، وإلى أي مدى كانت تعود إلى الوراء لإبراز العناصر السردية ذات العلاقة بالمسرود ورغبة في إظهار المسرود له.
إن العلاقة التي تربط الزمان بالمكان هى علاقة تكامل، فكل منهما يكمل الآخر، ومن ثم لا وجود لأحدهما دون الآخر، بمعنى أن هذه العلاقة أساسية لأنها تشخص جدلية في الحياة وتشخص جدلية الواقع الروائي في حد ذاته، كما رأينا من قبل في بحثنا في قصة فرعون واسمه وهويته وعاصمة حكمه، وذلك من خلال استقراء الآيات التي وردت فيها القصة، والإشارات اللسانية والدلالات التي تشير إليها وبتحليل القصة تم التوصل إلى حقائق جديدة.

رغم الانتقادات التي وجهت للسيميائية، وأن معظم تطبيقاتها لم تأت بشيء جديد يخدم القرآن أو يفيد في تبيان مراد الله، وأن ما ركزت عليه معظم الدراسات كان على العلاقات والعلامات وهي أمور فرعية، ولا يمكن لها أن تكون في الصدارة ولها السبق في قراءة النص القرآني بسبب إغراقها في التجريد والمنطق، واعتمادها على علوم كثيرة أخرى، مما جعل هذه التطبيقات تستفيد من القرآن بتوظيف نصه لخدمة المنهج أكثر من تقديمها جديد مفيد، وبالتالي كان الطعن في جدوى الدراسات السيميائية لسور القرآن بسبب ما تتميز به من خصوصية وقدسية. والحقيقة أن الطعن هنا ينصب على المطبقين العرب، وليس على العلم نفسه، وثانيا أنه علم جديد يحتاج المزيد من الدراسات وعدم الخوف من تناول نص مقدس طالما امتلك المطبق أدواته من معرفة جيدة بعلوم القدامي والمعاصرين. خاصة وأن النص يمتلئ بالعديد من الرمزية والإشارات حتى أن بالنص نفسه نصوص صريحة تدل على استخدام الإشارة والرمز في التواصل مثل:
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) مريم
قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا (41) آل عمران